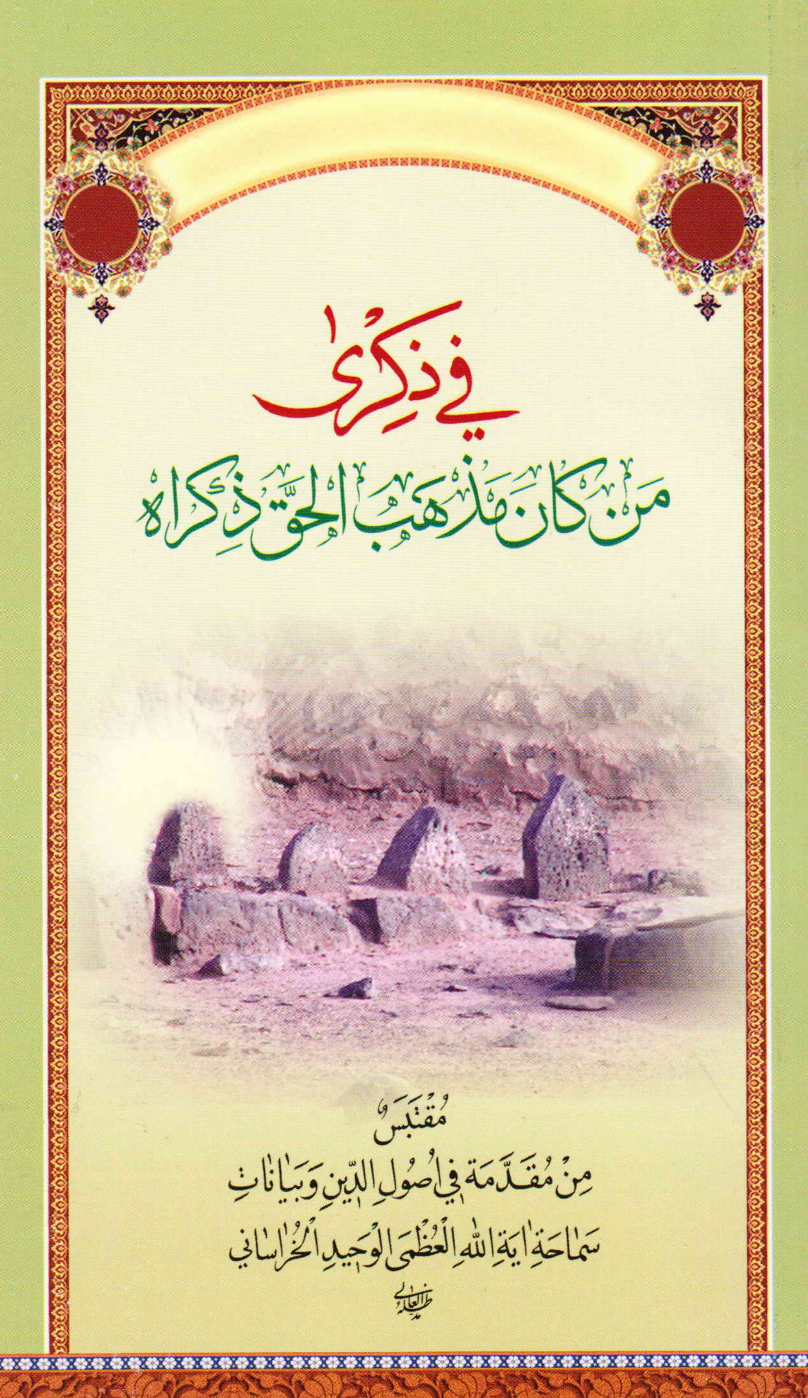

في ذكرى
من كان مذهب الحق ذكراه
مقتبس
من مقدمة في أصول الدين وبيانات
سماحة آية الله العظمى الوحيد الخراساني



في ذكرى

من كان مذهب الحقّ ذكراه

مقتبس من محاضرات

و مقــدمة في أصــول الدين

لسماحة آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني

دام ظلّه العالي



في ذكري من كان مذهب الحق ذكراه

مقتبس من محاضرات و مقدمة في أصول الدين

لسماحة آية الله العظمى الشيخ حسين الوحيد الخراساني دام ظلّه الوارف

الناشر : مدرسة الإمام باقرالعلوم عليه السلام

الطبعة الاولى : ١٤٢٨ هـ.ق - ١٣٨٦ هـ.ش .

المطبوع : ٥٠٠٠ نسخة

المطبعة : نگارش

ردمك : ١٠ : ٤-٠٣-٢٦٩٤-٩٦٤ ISBN

ردمك : ١٣ : ٧-٠٣-٢٦٩٤-٩٦٤-٩٧٨ ISBN

قم ، شارع صفائية، فرع ٣٧، رقم ٢١، الهاتف ٧٧٤٣٢٥٦

مركز التوزيع

١) قم، شارع المعلم، فرع ٢٩، رقم ٤٤٨، الهاتف ٧٧٣٣٤١٣ - ٧٧٤٤٩٨٨

٢) قم، شارع صفائية، مقابل زقاق رقم ٣٨، منشورات دليل‌ما، الهاتف ٧٧٣٧٠١١ - ٧٧٣٧٠٠١

٣) قم، شارع إرم، فرع ١١، مؤسسة پيام إسلام، الهاتف ٧٧٤٢٤٩٨ - ٧٧٤١٨٤٧

٤) طهران، شارع إنقلاب، شارع فخررازي، رقم ٣٢، الهاتف ٦٦٤٦٤١٤١

٥) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقة النادري، زقاق خوراكيان، بناية گنجينه كتاب التجارية، الطابق الأول، منشورات دليل‌ما، الهاتف ٥ - ٢٢٣٧١١٣

٦) إصفهان، تقاطع تختي، أول شارع مسجد السيد، مؤسسة فدك، الهاتف ٢٢٠٥٤٨٥

٧) أهواز، شارع حافظ، بين شارع سيروس و سلمان الفارسي، منشورات رشد، الهاتف ٢٢١٦٣٤٥

٨) شيراز، شارع الأحمدي، مقابل المركز الطبي نجابت، منشورات شاه چراغ، الهاتف ٢٢٢١٩١٦

بمناسبة استشهاد الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أوردنا في هذه الوجيزة شمّة من حياته وحالاته..

هذا؛ وما أدرجناه هنا من الروايات ـ سواء ما كان منها في مصادر العامّة أو من طريق الخاصّة ـ فربّما نُقلَ بالمعنىٰ، وقد يحذف بعض الحديث أو يقتطع رعاية للاختصار والإيجاز، كما أنّه قد أُكتفي عند نقل الأخبار إلىٰ الإشارة إلىٰ مصدر أو اثنين لها.

الناشر

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله علىٰ

محمّد وآله الطاهرين ، لا سيّما بقيّة الله في الأرضين ،

واللعن علىٰ أعدائهم أجمعين إلىٰ يوم الدين . .

ولد إمامنا السادس جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في المدينة المنوّرة ، في السابع عشر من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وثمانين من هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله . . ورحل من الدنيا في شوال من سنة مائة وثمان وأربعون .

كنيته وألقابه سلام الله عليه

كنيته : أبو عبد الله ، ومن ألقابه عليه السلام : الصادق ، والفاضل ، والكامل ، والصابر ، والطاهر ، والباقي ، والمنجي . . وأشهرها هو : الصادق عليه السلام ، ذاك لقب منحه رسول الله صلى الله عليه وآله له . .

روي عن أبي خالد الكابلي[1] أنّـه قـال : قـلت لعـلي بـن الحسين عليه السلام : مَن الإمام بعدك ؟

قال : « **ابني محمّد ، واسمه في التوراة : باقر ؛ يبقر العلم بقراً ، هو الحجّة والإمام بعدي ، ومن بعد[2] محمّد ابـنه : جعفر ؛ اسمه عند أهل السماء : الصادق** » .

فـقلت له : يـا سـيدي ! فكـيف صـار اسـمه : الصـادق ، وكلكم صادقون ؟ !

فقال : « **حدّثني أبي ، عن أبيه ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « إذا ولد ابني جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فَسمّوه : الصادق . .** » .

فضائله ومناقبه صلوات الله وسلامه عليه . .

إنّ شعاع أنوار فضائل ومناقب ذاك النجم اللامع في سماء إمامة الأُمّة ، وخلافة خاتمة النبوّة . . يصطع على الآفاق والأنفس حتّىٰ اعترفت العامّة ـ فضلاً عن الخاصّة ـ به ، وأقـرّ العـدو ـ عـدا الصديق ـ بعلمه واستجابة دعاءه ـ وهما برهانان على إمامته ـ . .

---

(١) كما في الاحتجاج للـطبرسي ٤٩/٢ ، وعـنه فـي بـحار الأنـوار ٩/٤٧ حديث ٤ ، باختلاف يسير بينهما واختصار .

(٢) في بحار الأنوار : « محمّد ابني يبقر العلم بقراً ، ومن بعد . . » .

نماذج من كلمات أعلام العامّة وعلماءهم فيه عليه السلام

قال مالك بن أنس ـ إمام مذهب المالكيّة ـ : ما رأت عين ولا سمعت أُذن ولا خطر علىٰ قلب بشر أفضل من جعفر الصادق فضلاً وعلماً وعبادةً وورعاً . .[١] .

وقال ابن طلحة الشافعي في وصفه عليه السلام : هو من عظماء أهل البيت وساداتهم عليهم السلام ، ذو علوم جمّة ، وعبادة موفّرة ، وأوراد متواصلة ، وزهادة بيّنة ، وتلاوة كثيرة ، يتتبّع معاني القرآن الكريم ، ويستخرج من بحره جواهره ، ويستنتج عجائبه ، ويقسّم أوقاته على أنواع الطاعات ، بحيث يحاسب عليها نفسه . . رؤيته تذكّر الآخرة ، واستماع كلامه يزهّد في الدنيا ، والاقتداء بهديه يورث الجنة . . نور قسماته شاهد أنّه من سلالة النبوة ، وطهارة أفعاله تصدع أنّه من ذريّة الرسالة . نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من الأئمة وأعلامهم . .

إلى أن قال : . . وعدّوا أخذهم عنه منقبة شُرّفوا بها ، وفضيلة اكتسبوها . .[٢]

---

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٢٤٨/٤ في علمه عليه السلام [المطبعة العلميّة ـ قم ، وفي طبعة ٢٧٥/٤].

(٢) مطالب السؤول : ٨٠ ـ ٨١ [وفي تحقيق مؤسسة أُم القرى ١١٠/٢].

ثم قال : . . وأمّا مناقبه وصفاته ؛ فتكاد تفوت عدد الحاصر ، ويحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر ، حتى أنّ من كثرة علومه ـ المفاضّة على قلبه من سجال التقوى ـ صارت الأحكام التي لا تدرك عللها ، والعلوم التي تقصر الأفهام عدد الإحاطة بحكمها تضاف إليه ، وتروى عنه . .[1]

وذكر أبو القاسم البغار ـ في مسند أبي حنيفة ـ قال الحسن بن زياد : سمعت أبا حنيفة ـ وقد سئل : من أفقه من رأيت ؟ ـ قال : جعفر بن محمّد ؛ لمّا أقدمه المنصور [الحيرة] بعث إليّ فقال : يا أبا حنيفة ! إنّ الناس قد فُتنوا بجعفر بن محمّد ، فهيّئ له من مسائلك الشداد[2] . . فهيّأت له أربعين مسألة ،

---

(١) المصدر السالف : ٨١ [الطبعة المحققة ٢/١١١].

وعن مالك ؛ قال : كنت أرى جعفر بن محمد ، وكان كثير الدعابة والتبسم ، فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وآله وسلم اصفرّ لونه ، وما رأيته يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلّا عن طهارة ، ولقد اختلفت إليه زماناً ، فما كنت أراه إلّا على ثلاث خصال : إمّا مصلياً ، وإمّا صامتاً ، وإمّا يقرأ القرآن . . ولا يتكلّم فيما لا يعنيه ، وكان من علماء العبّاد الذين يخشون الله عزّ وجلّ . . كما جاء في الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٢/٣٦ (الفصل الثاني من الباب الثالث من القسم الثاني).

(٢) في تهذيب الكمال : الصّعاب .

ثمّ بعث إليّ أبي جعفر وهو بالحيرة فأتيته ، فدخلت عليه - وجعفر جالس عن يمينه - فلمّا بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر ، فسلّمت عليه فأومأ إليّ فجلست ، ثمّ التفتُّ إليه ، فقال : يا أبا عبد الله ! هذا أبو حنيفة ، قال : «**نعم أعرفه**» ، ثمّ التفت إليّ ، فقال : يا أبا حنيفة ! الق على أبي عبد الله من مسائلك ، فجعلت أُلقي عليه فيجيبني ، فيقول : أنتم تقولون كذا . . وأهل المدينة يقولون كذا . . ونحن نقول كذا . . فربّما تابعنا كم ، وربّما تابعناهم ، وربّما خالفنا جميعاً . .[1] حتّىٰ أتيت على الأربعين مسألة ، فما أخلّ منها بشيء . .

ثم قال أبو حنيفة : أليس أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس . . ؟ ![2]

قال ابن قتيبة - عن كتاب الجفر - : وهو جلد جفر ادّعوا أنّه كتب فيه لهم الإمام كلّ ما يحتاجون إلىٰ علمه ، وكل ما

---

(١) كذا في المناقب ، وفي التهذيب : وكان يقول في المسألة : أنتم تقولون فيها كذا وكذا ، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا ، ونحن نقول كذا وكذا . . فربّما تابعنا ، وربّما تابع أهل المدينة ، وربّما خالفنا جميعاً .

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٢٥٥/٤ [المطبعة العلمية - قم] في علمه عليه السلام ، ومثله مسنداً في تهذيب الكمال ٧٩/٥ - ٨٠ باختلاف يسير .

يكون إلىٰ يوم القيامة[١].

يقول الشبلنجي الشافعي: .. ومناقبه كثيرة تكاد تفوت عند الحاسب، ويحار في أنواعها فهم اليقظ الكاتب ..[٢]

نبذة من الأحاديث الواردة في مناقبه عليه السلام

في الحديث الصحيح[٣]؛ عن جعفر بن محمّد بن الأشعث،

---

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ٦٨، ولاحظ: عيون الأخبار له ١٤٥/٢.
وقال ابن قتيبة في كتابه أدب الكاتب: وكتاب جفر؛ كتب فيه الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام لآل البيت كلّ ما يحتاجون إلىٰ علمه وكلّ ما يكون إلىٰ يوم القيامة.
وقال الدميري في حياة الحيوان ٢٧٩/١ [وفي طبعة بيروت، دارالكتب العلمية ـ تحقيق أحمد حسن بسج ٢٨٣/١]: فائدة: قال ابن قتيبة في كتابه أدب الكاتب: وكتاب الجفر؛ جلد جفر كتب فيه الإمام جعفر بن محمد الصادق [عليه السلام] لآل البيت كلّ ما يحتاجون إلى علمه، وكلّ ما يكون إلى يوم القيامة..

(٢) نور الأبصار: ١٦٠.

(٣) هذه الرواية يرويها محمّد بن يعقوب الكليني ـ ذاك الذي شهد له أكابر علماء الرجال بكونه: أوثق الناس في الحديث.. وهو الذي نقل صاحب الحدائق أنّ بعض حكّام بغداد لمّا رأى إقبال الناس علىٰ زيارة الأئمّة عليهم السلام صمّم علىٰ نبش قبر الإمام موسى بن جعفر عليه السلام متذرّعاً بأنّه لو كان كما يظنّ الشيعة لكان موجوداً في قبره وإلّا منع الناس عن زيارة أمثال هذه المراقد.

←

قال : قال لي : أتدري ما كان سبب دخولنا في هذا الأمر ومعرفتنا به ، وما كان عندنا منه ذكرٌ ولا معرفة شيء ممّا عند الناس ؟

قال : قلت له : ما ذاك ؟ !

قال : إنَّ أبا جعفر ـ يعني أبا الدوانيق ـ قال لأبي ؛ محمّد بن الأشعث : يا محمّد ! ابغ لي رجلاً له عقل يؤدّي عنّي .

فقال له أبي : قد أصبته لك ؛ هذا فلان بن مهاجر خالي .

قال : فأتني به .

قال : فأتيته بخالي ، فقال له أبو جعفر : يا ابن مهاجر !

← فقالوا له : هنا رجل من مشاهير علماءهم فانبش قبره .. وعندما نُبش قبره رحمه الله رأوه وكأنّه قد دفن من ساعته ؛ لذا أمر ببناء قبّة علىٰ مضجعه الشريف وصار قبره مزاراً مشهوراً.

توفي رحمه الله في سنة ثلاثمائة وتسع وعشرين .. وبعد مضي عدّة قرون صين بدنه الطاهر وحفظ من عوارض الأيّام طوال هذه المدّة .. كالذهب الخالص ببركة اكسير العلم والعمل بأحاديث أهل بيت العصمة والطهارة .

والكليني ؛ يروي عن أبي علي الأشعري الموثّق بتوثيق الشيخان ـ النجاشي والطوسي ـ وهو يروي عن محمّد بن عبدالجبّار الموثّق بتوثيق الشيخ الطوسي رحمه الله ، وهو يروي عن صفوان بن يحيىٰ الذي عدّ من أوثق أهل زمانه في الحديث ، وقد اتّفق الرجاليين وعلماء الحديث علىٰ صحّة روايته ..

وغير خفي علىٰ أهل البصيرة أنّ صدور أمثال هذه الخوارق للعادات والآيات البيّنات ـ التي هي شاهد صدق علىٰ إمامتهم العظمىٰ وولايتهم الكبرىٰ .. ـ ثابتة بحدّ التواتر .

ونقتصر في هذه الوجيزة بالتشرّف بذكر بضعة أحاديث من تلك الموسوعة ..

خذ هذا المال وأتِ المدينة ، وأت عبد الله بن الحسن بن الحسن وعدة من أهل بيته فيهم جعفر بن محمّد ، فقل لهم : إنّي رجلٌ غريب من أهل خراسان . . وبها شيعة من شيعتكم وجّهوا إليكم بهذا المال . . وادفع إلى كلّ واحد منهم على شرط كذا وكذا . . فإذا قبضوا المال ، فقل : إنّي رسول ؛ وأحبّ أن يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم . .

فأخذ المال وأتى المدينة ، فرجع إلى أبي الدوانيق ـ ومحمّد بن الأشعث عنده ـ فقال له أبو الدوانيق : ما وراءك ؟ !

قال : أتيت القوم ـ وهذه خطوطهم بقبضهم المال ـ خلا جعفر بن محمّد ؛ فإنّي أتيته وهو يصلّي في مسجد الرسول ﷺ فجلست خلفه ، وقلت حتّىٰ ينصرف فأذكر له ما ذكرت لأصحابه ، فعجّل وانصرف ، ثمّ التفت إليّ فقال : **« يا هذا ! اتقّ الله ولا تغرّ أهل بيت محمّد ﷺ ؛ فإنّهم قريب العهد بدولة[1] بني مروان ، وكلّهم محتاج »** .

فقلت : وما ذاك ؟ أصلحك الله !

قال : فأدنىٰ رأسه منّي وأخبرني بجميع ما جرىٰ بيني وبينك حتّىٰ كأنّه كان ثالثنا .

قال : فقال له أبو جعفر : يا ابن مهاجر ! اعلم أنّه ليس من

(١) في بعض النسخ : من دولة .

أهل بيت نبوّة إلّا وفيه محدّث ، وأنّ جعفر بن محمّد محدّثنا اليوم . . وكانت هذه الدلالة سبب قولنا بهذه المقالة . .[١]

فهو شخص اعترف رأس أئمّة العامّة أنّه : . . لم تر عين أفضل منه في فضائله العلميّة ، وسلوكه العملي والأخلاقي ، ومن البديهة بمكان أنّ العقل السليم يحكم بقبح تبعية الفاضل مع وجود الأفضل لما فيه من ترجيح المرجوح على الراجح . . وهو ممّا تتنفر منه فطرة كلّ عاقل . . بل هو الضلال المبين بحكم الكتاب الكريم ؛ إذ يقول عزّ من قائل : ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾[٢] إذ ذاك ممّا يتنفّر منه كلّ مسلم . . فيثبت بحكم العقل والربّ أنّ اتّباع المذهب الجعفري هو الحقّ . .

إذ هو عليه السلام ـ بشهادة إمام العامّة الأعظم ـ : . . أعلم الناس ، وبحكم العقل عند تعارض العالم والأعلم ، وهو سقوط قول العالم ولزوم اتّباع الأعلم ، وكونه متعيّناً ؛ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[٣] .

---

(١) أُصول الكافي ١/٤٧٥ باب مولده عليه السلام حديث ٦.

(٢) سورة البقرة (٢): ٦١.

(٣) سورة الزمر (٣٩): ٩.

وعليه ؛ فعلم وفقه جعفر بن محمد عليه السلام هو الميزان والعدل المستقيم .

بل الحاكم الذي استعان بأموال بيت مال المسلمين ، واستخدم قدرة الحكومة الإسلاميّة ، بدأ بفتاوي وأحكام أمثال إمام الحنفية . . إلى أموال وخيرات بيت المال إضافة إلى دسائس السياسة العباسيّة ومكرها وتزويرها . . كل ذلك لغرض إطفاء أنوار عظمته وبهاء جلاله عليه السلام . . يعترف باتّصاله عليه السلام بعالم الغيب والشهادة . . وكونه وحيد دهره الذي يستلهم ويُلهم من مكوّن وجوده ؛ إذ هو مظهر قوله عزّ وجلّ : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴾[1] .

هذا الرجل هو الإنسان الكامل المحيط بعالمي الملك والملكوت ، وهو خليفة الربّ ، والرابط بين الخلق والحقّ . .

ذاك الإنسان الذي أبقى لنا من المعارف في أُصول الدين ـ من البدء إلى المعاد ، مع وجود سلطة حكومة آل مروان ، وهيمنة بني العباس ، وما لفّته سوانح الأيام . . ـ بحاراً يستخرج من أخباره الغائصون جواهر المعارف . . إذ هو الكتاب المبين في فروع الدين ـ من الطهارة إلى الديات ـ والإمام المبيّن لتمام الأحكام الإلهية والحقوق الشخصية والنوعية . .

---

(١) سورة المؤمن (غافر) (٤٠) : ١٩ .

وأصحاب الأنظار الفقهية يستنبطون من كلماته وأقواله الوظائف العلمية من العبادات والمعاملات والعادّيات . .

وكفانا نموذجاً لذلك ما جاء في ترجمة محمّد بن أبي عمير أبو أحمد الأزدي ؛ الذي عبّر عنه الشيخ الطوسي في فهرسته[1] بقوله : . . وكان من أوثق الناس عند الخاصّة والعامّة وأنسكهم نسكاً وأورعهم وأعبدهم . . وذكر أنّه كان واحد [أوحد] زمانه في الأشياء كلّها . . وحكىٰ عن ابن بطّة أنّ له أربعة وتسعين كتاباً .

وروى الكشي[2] ، عن نصر ، أنّ محمّد بن أبي عمير أخذ وحبس وأصابه من الجهد والضيق والضرب أمر عظيم ، وأخذ كلّ شيء كان له . .

وقال[3] : ضرب ابن أبي عمير مائة خشبة وعشرين خشبة بأمر هارون لعنه الله ؛ تولّىٰ ضربه السندي بن شاهك على التشيّع وحُبس . .

---

(١) الفهرست للشيخ الطوسي : ٢١٨ [الطبعة الحيدريّة : ١٦٨ ـ ١٦٩]، وعنه في معجم رجال الحديث ١٤/٢٩٧ ـ ٢٩٨ برقم ٦١٨ [وفي طبعة بيروت ١٥/٢١٩].

(٢) اختيار معرفة الرجال : ٥٨٩ ـ ٥٩٠ حديث ١١٠٣.

(٣) رجال الكشي : ٥٩٢ حديث ١١٠٦.

وحكىٰ النجاشي[1] عن الجاحظ ، عن إبراهيم بن داحة ، عنه ، أنّه حبس في أيام الرشيد فقيل : لِيَلي القضاء . . . وروي أنّه حبسه المأمون حتّىٰ ولّاه قضاء بعض البلاد .

ثمّ قال : وقيل : إنّ أُخته دفنت كتبه في حال [حالة] استتارها، وكونه في الحبس أربع سنين؛ فهلكت الكتب ..

وقيل : بل تركتها في غرفة فسال عليها المطر ؛ فهلكت . . فحدّث من حفظه . .

ولو أبقت لنا الأيام ما كان عند طلّابه الأربعة آلاف ـ مع ما ذهب منّا آنذاك من ذاك التراث بسبب عدم وجود وسائل ضبطه وحفظه ـ لكان عندنا كنوزاً لا تنفد من العلوم والمعارف الإلهيّة . . وما كان ذاك إلّا خلال فترة وجيزة تخلّلت من تطاحن السلطتين الأمويّة والعباسيّة أمكن لطلّاب الحقيقة الإرتواء من معين فيضه عليه السلام .

والقلم ـ وأيم الله ! ـ وإن كان لعاجزاً عن التحرير ، واللسان ألكن من تقرير وعدّ مراتبه العلميّة ، وآثاره الحكميّة . . إلّا أنّ الغرض الإشارة لأهل التحقيق في الدقة عند مراجعة أخباره ، والتأمّل في أبعاد رواياته . . وعدم الاكتفاء بصرف ألفاظ كلماته . .

---

(١) رجال النجاشي : ٣٢٦ ـ ٣٢٧ برقم ٨٨٧ [طبعة جماعة المدرسين ، و ٢/٢٠٤ ـ ٢٠٨ برقم ٨٨٨ من طبعة بيروت].

بل يتأمّل فيما في بياناته من إشارات ولطائف .. ودقائق وحقائق ..

معيار معرفة الإمام المعصوم

إنّ مقام الإمامة هو مقام الإنسان الكامل ، وإنسانيّة الإنسان بعقله وإرادته ، وكمال عقله بمعرفته بربّه وأمره في التكوينيات وأحكامه سبحانه في التشريعيّات ، وكمال إرادة العبد في التسليم المطلق في مقابل إرادة ربّ الأرباب الذي منه يكون الدعاء المستجاب .

ومن هنا كان معيار معرفة الإمام أمران: العلم، وإجابة الدعاء.

وكمثال لإجابة دعاءه عليه‌السلام ؛ هو ما جاء من أنّ داود بن علي بن عبد الله بن العبّاس لمّا قتل المعلّى بن خنيس وأخذ ماله ، قال الصادق عليه‌السلام : « **قتلت مولاي وأخذت مالي ؛ أما علمت أنّ الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الحرب ، أما والله لأدعونّ الله عليك** » .

فقال له داود : تهدّدنا بدعائك ؟ ! . . كالمستهزئ بقوله .

فرجع أبو عبد الله [عليه‌السلام] إلى داره فلم يزل ليله كلّه قائماً وقاعداً . . فبعث إليه داود خمسة من الحرس ، وقال : ائتوني به . . فإن أبى فأتوني برأسه .

فدخلوا عليه ـ وهو يصلّي ـ فقالوا له : أجب داود . .

قال : « **فإن لم أجب ؟** » .

قالوا : أمرنا بأمر !

قال : « **فانصرفوا ؛ فإنّه خير لكم؛ لدنياكم وآخرتكم** ».

فأبوا إلّا خروجه ، فرفع يديه فوضعهما علىٰ منكبيه . . ثمّ بسطهما .. ثمّ دعا بسبابته فسمعناه يقول: « **الساعة .. الساعة ..** »، حتّىٰ سمعنا صراخاً عالياً .

فقال لهم : « **إنّ صاحبكم قد مات . . فانصرفوا** » .

فسئل فقال : « **بعث إليّ ليضرب عنقي ، فدعوت عليه بالاسم الأعظم ؛ فبعث الله إليه ملكاً بحربة فطعنه في مذاكيره فقتله** »[1] .

ونقل علي بن عيسى الإربلي ـ المعتمد عند العامّة والخاصّة ـ في كتابه كشف الغمّة[2] هذا الحديث وقال : هذه القضيّة له عليه‌السلام مع أبي جعفر المنصور مشهورة قد نقلها الرواة . . والدعاء الذي ذكروه بروايات مختلفة لولا خوف الإطالة لأوردتها . .[3]

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٤/٢٣٠ [المطبعة العلميّة ـ قم] فصل في استجابة دعوته .

(٢) كشف الغمة ٢/٣٩٠ [الطبعة المترجمة]، وما جاء هنا نقله بعد حديث آخر جاء في ٢/٣٧٦.

(٣) ثم قال بعد ذلك : ولكني اكتفيت بما ذكره كمال الدين ، ولعلّه يرد في

←

هذا ؛ وقد نصّ على هذه الواقعة جمع من الأعيان ـ ومنهم : أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه صفوة الصفوة[1] . . وكلّ أُولئك أسندوا هذا الحديث إلى (ليث) الثقة المعتبر ، والرواية هي :

قال الليث بن سعد : حججت سنة ثلاث عشرة ومائة ، فأتيت مكّة ، فلمّا صلّيت العصر رقيت أبا قبيس ؛ وإذا أنا برجل جالس ـ وهو يدعو ـ فقال : « **يا ربّ ، يا ربّ** . . » حتّىٰ انقطع نفسه ، ثمّ قال : « **ربّ ، ربّ** . . » حتّىٰ انقطع نفسه ، ثمّ قال : « **يا الله ، يا الله** . . » حتّىٰ انقطع نفسه ، ثمّ قال : « **يا حي ، يا حي** . . » حتّىٰ انقطع نفسه ، ثمّ قال : « **يا رحيم ، يا رحيم** . . » حتّىٰ انقطع نفسه ، ثمّ قال : « **يا أرحم الراحمين** . . » حتّىٰ انقطع نفسه ، سبع مرّات [كذا] .

ثمّ قال : « **اللّهمّ إنّي أشتهي من هذا العنب فأطعمنيه ، اللّهمّ وإنّ بُردَيّ قد أُخلقا** . . » .

قال الليث : فوالله فما استتمّ كلامه حتّىٰ نظرت إلىٰ سلّة

← موضع آخر من أخباره.. ثم قال : وقال : قال الليث بن سعد : حججت سنة.. إلى آخره، ولا يوجد ما بعده.

(١) صفوة الصفوة ١٧٣/٢ ، ورواه ابن المغازلي في مناقبه : ٣٨٩ حديث ٤٤٤ ، وابن طلحة في مطالب السؤول ٥٩/٢ ، والقندوزي في ينابيع المودة ١١٦/٣ .. وغيرهم .

مملوّة عنباً ـ وليس على الأرض يومئذٍ عنب ـ وبردين جديدين موضوعين . . فأراد أن يأكل فقلت له : أنا شريكك ، فقال لي : « ولِمَ ؟ » فقلت : لأنك كنت تدعوا وأنا أؤمّن .

فقال لي : « **تقدّم فكُل . . ولا تُخبأ شيئاً . .** » .

فتقدّمت فأكلت شيئاً لم آكل مثله قطّ ، وإذا عنب لا عجم له ، فأكلت حتّىٰ شبعت والسلّة لم تنقص .

ثمّ قال لي : « **خذ أحد البُردين إليك** » .

فقلت : أمّا البردان فإنّي غنيّ عنهما .

فقال لي : « **توار عنّي حتّىٰ ألبسهما** » .

فتواريت عنه ، فأتزر بالواحد وارتدى بالآخر ، ثمّ أخذ البردين اللّذين كانا عليه فجعلهما علىٰ يده ونزل ، فاتبعته حتّىٰ إذا كان بالمسعىٰ لقيه رجل فقال : اكسني كساك الله . . فدفعهما إليه . . فلحقت الرجل فقلت : من هذا ؟ قال : هذا جعفر بن محمد .

قال الليث : فطلبته لأسمع منه فلم أجده . .

فيا لهذه الكرامة ما أسناها . . ! ويا لهذه المنقبة ما أعظم صورتها ومعناها . . ! [١]

---

(١) ومثله في كشف الغمّة ٢/١٦٠ [وفي الطبعة المترجمة ٢/٣٧٦ ـ ٣٧٧] عن مطالب السؤول ، وعنه في بحار الأنوار ٤٧/١٤١ ـ ١٤٢ حديث ١٩٤ ، ولاحظ : الصواعق المحرقة : ٢٠٣ .

ويكفي لتصور هذه المنقبة ما كان من ربّ العالمين مع خاتم المرسلين في ليلة المعراج ـ حتّىٰ قال صلوات الله عليه وآله : « **أبيت عند ربّي يطعمني ويسقيني** »[١] ـ كان منه تعالىٰ مع ولده صادق آل محمّد عليهم السلام في جبل أبي قبيس ، حيث ضيّفه على سفرة الغيب ممّا يكشف عن اتّصال إرادة ولي الله الأعظم بإرادته سبحانه وتعالىٰ : ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ** ﴾[٢] .

نماذج من معاجزه عليه السلام

١ ـ روىٰ نادرة الدهر في العلم والعمل السيّد ابن طاوس رحمه الله في كتابه مهج الدعوات[٣] ـ الذي هو كنز في الأدعية المشتملة علىٰ لطائف المعارف الإلهيّة وهو خزانة الغيب السماويّة : ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا** ﴾[٤] ـ عن محمّد بن

---

(١) عوالي اللئالي ٢/٢٣٣ باب الصوم (صوم الوصال) حديث ١، في من سأله صلى الله عليه وآله : كيف أنت تواصل ؟!

(٢) سورة يس (٣٦): ٨٢.

(٣) وقريب منه في عيون المعجزات: ٧٩ ـ ٨٠، ومدينة المعاجز ٥/٢٤٢.. وغيرهما.

(٤) سورة الأعراف (٧): ١٨٠.

عبيد الله الإسكندري ، أنّه قال : كنت من جملة ندماء أمير المؤمنين ! المنصور أبي جعفر وخواصّه ، وكنت صاحب سرّه من بين الجميع ، فدخلت عليه يوماً فرأيته مغتمّاً - وهو يتنفّس نفساً بارداً - فقلت : ما هذه الفكرة يا أمير المؤمنين ؟!

فقال لي : يا محمّد ! لقد هلك من أولاد فاطمة مقدار مائة [ويزيدون] وقد بقي سيّدهم وإمامهم . .

فقلت له : من ذلك ؟

قال : جعفر بن محمّد الصادق .

فقلت له : يا أمير المؤمنين ! إنّه رجل انحلته العبادة واشتغل بالله عن طلب الملك والخلافة .

فقال : يا محمّد ! وقد علمت أنّك تقول به وبإمامته ، ولكنّ الملك عقيم ، وقد آليت علىٰ نفسي أن لا أُمسي عشيّتي هذه أو أفرغ منه .

قال محمّد : والله ! لقد ضاقت عليّ الأرض برحبها . . ثمّ دعا سيّافاً وقال له : إذا أنا أحضرت أبا عبد الله الصادق وشغلته بالحديث ، ووضعت قلنسوتي عن رأسي فهي العلامة بيني وبينك فاضرب عنقه .

ثمّ أحضر أبا عبد الله عليه السلام في تلك الساعة . . ولحقته في الدار وهو يحرّك شفتيه . . فلم أدر ما [هو] الذي قرأ ؟

فرأيت القصر يموج كأنّه سفينة في لجج البحار ، فرأيت أبا جعفر المنصور وهو يمشي بين يديه حافي القدمين ، مكشوف الرأس ، قد اصطكّت أسنانه ، وارتعدت فرائصه ، يحمرّ ساعة ويصفرّ أُخرىٰ ، وأخذ بعضد أبي عبد الله الصادق عليه السلام وأجلسه علىٰ سرير ملكه ، وجثا بين يديه كما يجثو العبد بين يدي مولاه . [ثمّ سأله عن أمور واجابه عليه السلام]

ثمّ انصرف أبو عبد الله عليه السلام سريعاً ، وحمدت الله عزّ وجلّ كثيراً ، ودعا أبو جعفر المنصور بالدواويج[1] ونام ، ولم ينتبه إلّا في نصف الليل . .

فلمّا انتبه كنت عند رأسه جالساً فسرّه ذلك ، وقال لي : لا تخرج حتّىٰ أقضي ما فاتني من صلاتي فأحدّثك بحديث . . فلمّا قضى صلاته أقبل عليّ وقال لي : لمّا أحضرت أبا عبد الله الصادق ، وهممت به ما هممت من السوء ، رأيت تنيناً قد حوىٰ بذنبه جميع داري وقصري ، وقد وضع شفتيه العليا في أعلاها والسفلىٰ في أسفلها ، وهو يكلّمني بلسان طلق ذلق

---

(١) كذا في البحار ، وفي المهج : بالرواويح ، وفي عيون المعجزات : بالدووايح ، وعليه نسخة : بالدواويج .

والدواويج ـ جمع دواج ـ : اللحاف يلبس ، كذا ذكره الفيروزآبادي في القاموس المحيط ١٩٤/١ ، وفي اللسان ٢٧٧/٢ : . . أنّه ضرب من الثياب .

ولعلّه جمع دواجات فارسية . . أي أدوية وعقاقير .

عربي مبين : يا منصور ! إنّ الله - تعالىٰ جدّه - قد بعثني إليك ، وأمرني إن أنت أحدثت في أبي عبد الله الصادق حدثاً فأنا ابتلعك ومن في دارك جميعاً . . فطاش عقلي ، وارتعدت فرائصي ، واصطكّت أسناني . .

قال محمّد بن عبد الله الإسكندري : قلت له : ليس هذا بعجيب يا أميرالمؤمنين ! [فإنّ أبا عبد الله وارث علم النبي ﷺ وجدّه أميرالمؤمنين علي ﷺ] (١) ، وعنده من الأسماء وسائر الدعوات التي لو قرأها على الليل لأنار ، ولو قرأها على النهار لأظلم ، ولو قرأها على الأمواج في البحور لسكنت . . (٢)

ولقد أقرّ واعترف كلّ صديق وعدوّ ، ومؤمن ومنافق ، وموحّد وملحد . . بآياته وبراهينه ، وعلمه وحكمته ، ومظاهر نفوذ إرادته وقدرته . . وهي أكثر من أن تحويها الوريقات ، أو تجمعها الأسطر . . وكلّ ما أُثبت منها ما هو إلّا قطرة من ذلك البحر ، وشعاع من أشعّة ذاك الحامل للأسماء الحسنىٰ ، والعالم باثنين وسبعين حرفاً من حروف الاسم الأعظم .

بلى ؛ فلا عجب ولا غرو إن كانت هذه المقامات والكرامات

---

(١) الزيادة من المهج .

(٢) بحار الأنوار ٤٧/٢٠١ ـ ٢٠٣ حديث ٤٢ ، عن كتاب مهج الدعوات : ٢٥١ [في الحجرية : ٢٤٧ ـ ٢٤٩] .

لمن كان وجوده مظهراً من مظاهر وجود خاتم المرسلين ، وهو بدر تام لشمس عالم الإمكان . .

٢ ـ روىٰ الشيخان المفيد والطوسي رحمهما الله ـ بإسنادهما ـ عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي ، عن أبيه ، قال : حدّثني من سمع حنان بن سدير الصيرفي يقول : [سمعت أبي ؛ سدير الصيرفي يقول :][(١)] رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يرىٰ النائم وبين يديه طبق مغطّى بمنديل ، فدنوت منه ، وسلّمت عليه ، فردّ عليّ السلام . . ثمّ كشف المنديل عن الطبق فإذا فيه رطب ، فجعل يأكل منه ، فدنوت منه فقلت : يا رسول الله ! ناولني رطبة . . فناولني واحدة فأكلتها ، ثمّ قلت : يا رسول الله ! ناولني أُخرىٰ ، فناولنيها فأكلتها ، وجعلت كلّما أكلت واحدة سألت [سألته] أُخرىٰ حتّىٰ أعطاني ثمان رطبات فأكلتها ، ثمّ طلبت منه أُخرىٰ ، فقال لي : « **حسبك** » .

قال : فانتبهت من منامي ؛ فلمّا كان من الغد دخلت على الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام وبين يديه طبق مغطّى بمنديل ـ كأنّه الذي رأيته في المنام بين يدي النبي صلى الله عليه وآله ـ فسلّمت عليه ، فردّ عليّ السلام ، ثمّ كشف عن الطبق ؛ فإذا فيه رطب فجعل

(١) الزيادة من أمالي الشيخ الطوسي رحمه الله .

يأكل منه ، فعجبت لذلك ، وقلت : جعلت فداك ! ناولني رطبة ، فناولني فأكلتها ، ثمّ طلبت أُخرىٰ فناولني . . فأكلتها ، وطلبت أُخرىٰ . . حتّىٰ أكلت ثمان رطبات ، ثمّ طلبت منه أُخرىٰ .

فقال لي : « **لو زادك جدّي رسول الله ﷺ لزدناك . .** » .

فأخبرته الخبر ؛ فتبسّم تبسّم عارف بما كان[1] .

٣ ـ روى في بصائر الدرجات ، والمناقب ، عن أبي بصير ـ الذي كان أعمىٰ ـ أنّه قال : تجسّست جسد أبي عبد الله عليه السلام ومناكبه ، قال : فقال : « **يا أبا محمّد ! تحبّ أن تراني** » .

فقلت : نعم جعلت فداك !

قال : فمسح يده علىٰ عيني فإذا أنا أنظر إليه .

قال : فقال : « **يا أبا محمّد ! لولا شهرة الناس لتركتك بصيراً علىٰ حالك ، ولكن لا تستقيم** » .

قال : ثمّ مسح يده علىٰ عيني فإذا أنا كما كنت[2] .

---

(١) أمالي الشيخ المفيد رحمه الله : ٣٣٥ ـ ٣٣٦ المجلس التاسع والثلاثون حديث ٦ [وطبعة بصيرتي : ١٩٨ ـ ١٩٩] ، وقريب منه في أمالي الشيخ الطوسي رحمه الله : ١١٤ حديث ١٧٤ [طبعة النجف الأشرف : ١١٣ المجلس الرابع] .

(٢) بصائر الدرجات : ٢٩٢ حديث ٧ [وفي طبعة (الجزء السادس) : ٢٧١ ـ ٢٧٢] ، وقريب منه في مناقب آل أبي طالب ٣٦٤/٣ [طبعة قم] ، وعنهما في بحار الأنوار ٧٩/٤٧ حديث ٥٩ ـ ٦٠ ، ودلائل الإمامة : ٢٨٢ [وفي طبعة : ١٣٤] .

٤ ـ وروي ـ أيضاً ـ عن أبي بصير ؛ أنّه قال : حججت مع أبي عبد الله عليه السلام ، فلمّا كُنّا في الطواف ، قلت له : جعلت فداك يا ابن رسول الله ! يغفر الله لهذا الخلق ؟ !

فقال : « **يا أبا بصير ! إنّ أكثر من ترىٰ قردة وخنازير** » .

قال : قلت له : أرينهم .

قال : فتكلّم بكلمات ثمّ أمرّ يده علىٰ بصري فرأيتهم قردة وخنازير ، فهالني ذلك ، ثمّ أمرّ يده علىٰ بصري فرأيتهم كما كانوا في المرّة الأولىٰ[1] .

فمن كان تتعلّق إرادته النافذة ويمنح البصر بمسحة يد علىٰ عين الأعمىٰ كي يبصّره ويُريه أشكال الأبدان ، ويعطيه بصيرة كي يرىٰ صور الأرواح ، وبمسحة يد يأخذ منه البصر والبصيرة . . كلّ ذاك من آثار العبوديّة التامّة ، التي منحته الولاية المطلقة المستمدّة من الفعّال ما يشاء ويريد ، ولا يتخلّف مراده عن إرادته . . فكانت الأبدان والأرواح كلّها تابعة لدعوته المستجابة .

---

(١) بصائر الدرجات : ٢٩٠ [وفي طبعة : الجزء السادس : ٢٧٠ حديث ٤] ، ومثله في مناقب ابن شهر آشوب ٣٦٤/٣ ، وعن الأوّل في بحار الأنوار ٧٩/٤٧ حديث ٥٨ .

٥ ـ روي أنّ ابن أبي العوجاء وثلاثة نفر من الدهريّة اتّفقوا علىٰ أن يعارض كلّ واحد منهم ربع القرآن ـ وكانوا بمكّة ـ وعاهدوا علىٰ أن يجيئوا بمعارضته في العام القابل، فلمّا حال الحول واجتمعوا في مقام إبراهيم عليه السلام ـ أيضاً ـ قال أحدهم: إنّي لما رأيت قوله: ﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَاءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ** ﴾[1] كففت عن المعارضة.

وقال الآخر: وكذا أنا لمّا وجدت قوله: ﴿ **فَلَمَّا ٱسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً** ﴾[2] آيست من المعارضة، وكانوا يسرّون بذلك، إذ مرّ عليهم الصادق عليه السلام، فالتفت إليهم وقرأ عليهم: ﴿ **قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا ٱلْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ** ﴾[3] فبهتوا[4].

ولم يتحيّر الخاصة والعامّة فحسب في ظهور آياته عليه السلام البيّنات، وخوارق عاداته الواضحات، بل حيّرت كلّ ملحد وزنديق من أمثال ابن أبي العوجاء ـ الذي خاطب ابن المقفّع بقوله ـ:

---

(١) سورة هود (١١): ٤٤.

(٢) سورة يوسف (١٢): ٨٠.

(٣) سورة الإسراء (١٧): ٨٨.

(٤) الخرائج والجرائح ٢/٧١٠ حديث ٥، وعنه في بحار الأنوار ٤٧/١١٧ـ١١٨ حديث ١٥٦.

.. ويلك يا ابن المقفّع ! ما هذا ببشر ، وإن كان في الدنيا روحاني يتجسّد إذا شاء ظاهراً ويتروّح إذا شاء باطناً فهو هذا ..[١] .

٦ ـ قال هارون بن رئاب : كان لي أخ جارودي فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي : « **ما فعل أخوك الجارودي ؟** » .

قلت : صالح هو مرضي عند القاضي والجيران في الحالات كلّها غير أنّه لا يقرّ بولايتكم !

فقال : « **ما يمنعه من ذلك ؟** » .

قلت : يزعم أنّه يتورّع .

قال : « **فأين كان ورعه ليلة نهر بلخ ؟ !** » .

فقلت لأخي حين قدمت عليه : ثكلتك أُمّك ! دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فسألني عنك فأخبرته أنّك مرضيٌّ عند الجيران وعند القاضي في الحالات كلّها ، غير أنّه لا يقرّ بولايتكم . فقال : « **ما يمنعه ذلك ؟** »

قلت : يزعم أنّه يتورّع .

قال : « **فأين كان ورعه ليلة نهر بلخ ؟ !** »

فقال : أخبرك أبو عبد الله بهذا ؟

قلت : نعم .

---

(١) أُصول الكافي ١/٧٥ ضمن حديث ٢ من كتاب التوحيد .

قال : أشهد أنّه حجّة ربّ العالمين .

قلت : أخبرني عن قصّتك ؟ !

قال : أقبلت من وراء نهر بلخ ، فصحبني رجل معه وصيفة فارهة الجمال ، فلمّا كنّا على النهر ، قال لي : إمّا أن تقتبس لنا ناراً فأحفظ عليك ، وإمّا أن أقتبس ناراً فتحفظ عليّ .

قلت : اذهب واقتبس وأحفظ عليك .

فلمّا ذهب ؛ قمت إلى الوصيفة . . وكان منّي إليها ما كان ، والله ما أفشت ولا أفشيت لأحد ، ولم يعلم إلّا الله . .

فخرجت من السنة الثانية ـ وهو معي ـ فأدخلته على أبي عبد الله عليه السلام فذكر الحديث . . فما خرج من عنده حتّى قال بإمامته . .[1]

فكان عليه السلام في تلك الليلة في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وتلك الواقعة وقعت جنب نهر مدينة بلخ . . وإخباره عليه السلام بها حاكٍ عن سيطرة روحه المقدسة على عالم الآفاق والأنفس ، وارتباطه الخاصّ بربّ الأرباب . . العالِم الذي ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ** ﴾[2] .

---

(١) الخرائج والجرائح ٢/٦١٧ ـ ٦١٩ حديث ١٧، وعنه في بحار الأنوار ٤٧/١٥٦ـ١٥٧ حديث ٢٢٠ باختلاف يسير .

(٢) سورة المؤمن (غافر) (٤٠) : ١٩ .

٧ـ عن الحسين بن موسى الحنّاط [الخياط] أنّه قال : خرجت أنا وجميل بن درّاج وعائذ الأحمسي حاجّين ، قال : وكان يقول عائذ لنا : إنّ لي حاجة إلى أبي عبد الله عليه السلام أُريد أن أسأله عنها .

قال : فدخلنا عليه ، فلمّا جلسنا قال لنا مبتدئاً : « **من أتىٰ الله بما افترض عليه لم يسأله عمّا سوى ذلك** » .

قال : فغمزنا عائذ ، فلمّا قمنا ، قلنا : ما حاجتك ؟

قال : الذي سمعنا منه إنّي رجل لا أُطيق القيام بالليل ، فخفت أن أكون مأثوماً مأخوذاً به فأُهلك . .[1]

٨ـ روىٰ علي بن عيسىٰ في كشف الغمّة عن دلائل الحميري بإسناده عن أبي بصير ، قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم جالساً إذ قال : « **يا أبا محمّد ! هل تعرف إمامك ؟** » .

قلت : إي والله الذي لا إله إلّا هو ، وأنت هو . . ووضعت يدي علىٰ ركبته أو فخذه .

فقال : « **صدقت ؛ قد عرفت فاستمسك به** » .

---

(١) بصائر الدرجات : ٢٥٩ [وفي طبعة : ٤٦ باب ١٠ حديث ١٥ ، وفي طبعة ١٣٨٠ صفحة : ٢٣٩] ، ومثله في كشف الغمّة ٤٢٦/٢ ، وأخرجه الشيخ في التهذيب ١٠/٢ ، وعنها جميعاً في بحار الأنوار ٧٠/٤٧ حديث ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ .

قلت : أريد أن تعطيني علامة الإمام .

قال : « **يا أبا محمّد ! ليس بعد المعرفة علامة** » .

قلت : أزداد إيماناً ويقيناً .

قال : « **يا أبا محمّد ! ترجع إلى الكوفة وقد ولد لك عيسى ، ومن بعد عيسى محمّد ، ومن بعدهما ابنتان ، واعلم أنّ ابنيك مكتوبان عندنا في الصحيفة الجامعة مع أسماء شيعتنا وأسماء آبائهم وأمّهاتهم وأجدادهم وأنسابهم وما يلدون إلىٰ يوم القيامة ..**». وأخرجها فإذا هي صفراء مدرجة[1].

٩ ـ روي عن المفضّل بن عمر ، أنّه قال : كنت أمشي مع أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه‌السلام بمكّة [أو بمنىٰ] ، إذ مررنا بامرأة بين يديها بقرة ميتة ، وهي مع صبيّة لها تبكيان . .

فقال لها عليه‌السلام : « **ما شأنكِ ؟** » .

قالت : كنت وصبياني نعيش من هذه البقرة ، وقد ماتت ، لقد تحيّرت في أمري .

قال : « **أفتحبّين أن يحييها الله لكِ ؟** » .

---

(١) كشف الغمّة ٢/٢٠٦ [وفي الطبعة المترجمة ٢/٤٢٠، في ذكر نبذة من دلائل إمامته عليه‌السلام].

والمدرجة ـ لغة ـ هي المذهّبة والمسلكة ، وأدرجت الكتاب : طويته ، كما في الصحاح ١/٣١٣ ـ ٣١٤ .. وغيره .

قالت : أو تسخر منّي مع مصيبتي ؟

قال : « **كلّا ! ما أردت ذلك** » .

ثمّ دعا بدعاء .. ثمّ ركضها برجله ، وصاح بها ، فقامت البقرة مسرعة سويّة ..

فقالت : عيسى بن مريم وربّ الكعبة .. !

فدخل الصادق عليه السلام بين الناس ، فلم تعرفه المرأة [1] .

فليس بنفسه الطاهر يحيى الموتى فقط ، بل هو كالإكسير الذي يمنح للنفوس خاصية نفس المسيح عليه السلام وروحه ..

١٠ ـ روى الكليني في الكافي [2] ، وابن شهر آشوب في المناقب [3] والصفّار في بصائر الدرجات عن جميل بن درّاج ، قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخلت عليه امرأة فذكرت أنّها تركت ابنها [ميتاً مسجىً] بالملحفة على وجهه ميتاً .

قال لها : « **لعلّه لم يمت فقومي فاذهبي إلى بيتك ، واغتسلي وصلّي ركعتين ، وادعي وقولي : (يا من وهبه لي**

---

(١) الخرائج والجرائح ٢٩٤/١ حديث ١ [الطبعة الأولىٰ : ١٩٨] ، وعنه في بحار الأنوار ١١٥/٤٧ حديث ١٥١ ، وحكاه عن المناقب لابن شهر آشوب ٣٦٧/٣ [طبعة قم ٢٣٩/٤ ـ ٢٤٠] أيضاً باختلاف يسير بينهما .

(٢) أُصول الكافي ٤٧٩/٣ حديث ١١ .

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٣٦٥/٣ .

ولم يك شيئاً، جدّد لي هبته)، ثمّ حرّكيه ولا تخبري بذلك أحداً».

قال: ففعلت فجاءت فحرّكته فإذا هو قد بكىٰ..[1].

فلا عجب لو تجلّىٰ إحيائه الموتى بأنفاسه الطاهرة، ويكون مصداقاً لقوله عزّ اسمه: ﴿**وإذ تُخرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي**﴾[2] فلا غرابة ـ إذاً ـ أن يظهر ذلك من خلّص تلامذته وأصحابه ويتجلّى معنى؛ ﴿**يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً..**﴾[3]..

١١ ـ روي عن مأمون الرقّي أنّه قال: كنت عند سيّدي الصادق عليه السلام إذ دخل سهل بن الحسن الخراساني فسلّم عليه، ثمّ جلس فقال له: يا ابن رسول الله! لكم الرأفة والرحمة، وأنتم أهل بيت الإمامة.. ما الذي يمنعك أن يكون لك حقّ تقعد عنه؟ وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف!؟

فقال له عليه السلام: «**اجلس يا خراساني! رعى الله حقّك**».

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٩٢ [وفي طبعة صفحة: ٧٦ الجزء السادس باب ٤ حديث ٦]، وعنه وعن الكافي والمناقب في بحار الأنوار ٤٧/٧٩ ـ ٨٠ حديث ٦١ و ٦٢ و ٦٣.

(٢) سورة المائدة (٥): ١١٠.

(٣) سورة الأنبياء (٢١): ٦٩.

ثمّ قال : يا حنيفة ! اسجري التنّور . . » فسجرته حتّىٰ صار كالجمرة وأبيضّ علوه .

ثمّ قال : « **يا خراساني ! قم فاجلس في التنور** » .

فقال الخراساني : يا سيّدي ! يابن رسول الله ! لا تعذّبني بالنار ، أقلني أقالك الله .

قال : « **قد أقلتك . .** » .

فبينما نحن كذلك إذ أقبل هارون المكّي ونعله في سبّابته . . فقال : السلام عليك يابن رسول الله !

فقال له الصادق عليه السلام : « **الق النعل من يدك ، وأجلس في التنّور** » .

قال : فألقى النعل من سبابته ، ثمّ جلس في التنّور ، وأقبل الإمام عليه السلام يحدّث الخراساني حديث خراسان حتّىٰ كأنّه شاهد لها .

ثمّ قال : « **قم يا خراساني ! وانظر ما في التنور** » .

قال : فقمت إليه فرأيته متربّعاً ، فخرج إلينا وسلّم علينا ،

فقال له الإمام عليه السلام : « **كم تجد بخراسان مثل هذا ؟** » .

فقال : والله لا واحداً .

فقال عليه السلام : « **لا والله ولا واحداً !** » .

[فقال] : « **أما إنّا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة**

معاضدين لنا، نحن أعلم بالوقت»[١].

هذا مقام شيعته عليه السلام الذين أطفؤوا نار هواهم وأهوائهم وميولهم بما استقوه من ماء الحياة التي هي ﴿..**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ**﴾[٢]، ونوّروا جوهر قلوبهم بنور علم اليقين من منبع عين اليقين.. فكانوا آن حضوا ببركة عنايته عليه السلام وتعليمه وتربيته بأن بلغوا مقام حقّ اليقين..!

وعند أُفول حكومة بني أُمية وآل مروان وانقراضها كان أكثر من ربع المسكونة تحت لواء الإسلام.. فكان أن عرض عليه عليه السلام قيادة وسلطنة تلك الديار الحاوية على الملوكيّة الإيرانيّة والإمبراطوريّة الروميّة.. فما كان منه عليه السلام عندما أتاه الكتاب ليلاً أن قرأه ثم وضعه على المصباح فحرقه.

فقال له الرسول ـ وظنّ أنّ حرقه له تغطية وستراً وصيانة للأمر ـ: هل من جواب؟!

قال عليه السلام: «**الجواب ما قد رأيت**»[٣].

وقد روي أنّ أبا مسلم الخلّال (وزير آل محمّد) عرض

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٣٦٣/٣ [وفي طبعة قم ٢٣٧/٤]، وعنه في بحار الأنوار ١٢٣/٤٧ حديث ١٧٢.

(٢) سورة المطففين (٨٣): ٢٨.

(٣) كما نصّ عليه ابن شهرآشوب في مناقب آل أبي طالب ٢٢٩/٤ ـ ٢٣٠، وعنه في بحار الأنوار ١٣٣/٤٧ ذيل حديث ١٨١.

الخلافة على الصادق عليه السلام قبل وصول الجند إليه، فأبىٰ وأخبره أنّ إبراهيم الإمام لا يصل من الشام إلى العراق، وهذا الأمر لأخويه: الأصغر، ثمّ الأكبر.. ويبقى في أولاد الأكبر، وأنّ أبا مسلم بقي بلا مقصود[1].

فهو فيما قاله قد أحاط بحكومة بني العبّاس من بدوها إلىٰ ختامها، وبيّن عليه السلام مستقبل أبي مسلم الخراساني ـ الذي قتل نحو ستمائة ألف رجلاً حتى انتقلت حكومة بني أميّة إلىٰ بني العباس ـ ثمّ كان عاقبته أن قطّعوه قطعة قطعة بأمر المنصور، ولم يبلغ هدفه ومقصوده..

فكان أساس الحكومة التي تسنّموها بإراقة الدماء البريئة.. ووسيلة إبادة وإحراق أهواء أصحاب الأهواء كي يتّضح أنّ الكتاب الذي هو ﴿بِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾[2] لا يمكن تفسيره ولا إجراءه وتطبيقه إلّا بلسان الحقّ ويد الحقّ.. فأبان بذلك أنّ الحكومة الحقّة ما هي إلّا ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[3] وحكومة الباطل

---

(١) كما جاء في بحار الأنوار ٤٧/١٣٣ ذيل حديث ١٨١، نقلاً عن المناقب لابن شهرآشوب ٣/٣٥٦ [الطبعة الأولى، وفي طبعة قم ٤/٢٢٩].

(٢) سورة الإسراء (١٧): ١٠٥.

(٣) سورة إبراهيم عليه السلام (١٤): ٢٤.

﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَالَهَا مِن قَرَارٍ﴾[1].

فكان أن وصف لنا خيرة شعراء ذاك العصر تلك الواقعة بقوله:

ولمّا دعا الداعوان مولاي لم يكن
ليثني إليه عزمه بصواب

ولمّا دعوه بالكتاب أجابهم
بحرق الكتاب دون ردّ جواب

وما كان مولاي كمشري ضلالة
ولا ملبساً منها الردىٰ بثواب

ولكنّه لله في الأرض حجّة
دليل إلىٰ خير وحسن مآب[2]

١٢ ـ وروى في الكافي[3] ؛ عن إسماعيل بن عبد الله القرشي أنّه قال : أتىٰ إلىٰ أبي عبد الله عليه السلام رجل ، فقال له : يا ابن رسول الله ! رأيت في منامي كأنّي خارج من مدينة الكوفة في موضع أعرفه ، وكأنّ شبحاً من خشب أو رجلاً منحوتاً من خشب علىٰ فرس من خشب، يلوّح بسيفه وأنا [أُ] شاهده فزعاً مرعوباً .

---

(١) سورة إبراهيم عليه السلام (١٤) : ٢٦ .

(٢) بحار الأنوار ٤٧/١٣٣ ضمن حديث ١٨١ ، عن المناقب لابن شهر آشوب ٣/٣٥٦ [وفي طبعة قم ٤/٢٣٠].

(٣) الروضة من الكافي ٨/٢٩٣ حديث ٤٤٨ .

فقال له عليه السلام: « **أنت رجل تريد اغتيال رجل في معيشته؛ فاتّق الله الذي خلقك ثمّ يميتك** » .

فقال الرجل : أشهد أنّك قد أُوتيت علماً واستنبطته من معدنه ، أخبرك ـ يا ابن رسول الله ! ـ عمّا [قد] فسّرت لي ؛ أنَّ رجلاً من جيراني جاءني وعرض عليَّ ضيعته فهممت أن أملكها بوكس[1] كثير لما عرفت أنّه ليس لها طالب غيري .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : « **وصاحبك يتولانا ويبرأ من عدوّنا ؟** » .

فقال : نعم يا ابن رسول الله ، رجل جيّد البصيرة ، مستحكم الدين ، وأنا تائب إلى الله عزّ وجلّ وإليك ممّا هممت به ونويته ، فأخبرني يا ابن رسول الله لو كان ناصباً حلّ لي اغتياله ؟

فقال : « **ادِّ الأمانة لمن ائتمنك وأراد منك النصيحة ولو إلىٰ قاتل الحسين** عليه السلام . . » .

فهو في الوقت الذي رفض ولم يرتض أن يكون الباطل وسيلة للوصول إلى الحقّ فحسب . . بل حذّر ونهىٰ أتباعه من الاستعانة بالباطل للوصول إلى إحقاق حقوقهم . . وأوصىٰ بأداء الأمانة

---

(١) الوكس ـ كالوعد ـ: النقص، كما في الصحاح ٩٨٩/٣، والنهاية ٢١٩/٥ . . وغيرهما .

حتّىٰ بالنسبة إلىٰ ألدّ أعداء الله سبحانه وتعالى أعني قاتل الإمام الحسين عليه السلام . .

١٣ ـ وروى ابن شهر آشوب المازندراني عن أبي الصباح الكناني أنّه قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنّ لنا جاراً من همدان يقال له : الجعد بن عبد الله يسبّ أميرالمؤمنين عليه السلام أفتأذن لي أن أقتله ؟

قال : « **إنّ الإسلام قيد الفتك ، ولكن دعه فستكفى بغيرك** » .

قال : فانصرفت إلى الكوفة فصلّيت الفجر في المسجد ، وإذا أنا بقائل يقول : وجد الجعد بن عبد الله على فراشه مثل الزقّ المنفوخ ميّتاً ، فذهبوا يحملونه إذاً لحمه سقط عن عظمه ، فجمعوه علىٰ نطع . . وإذا تحته أسود[1] فدفنوه[2] .

فالمذهب الجعفري، مذهب مبدأه الحقّ ومنتهاه الحقّ .. وسير الإنسان في هذا الطريق بالحقّ إلىٰ الحقّ ؛ وهذا هو المذهب الذى : ﴿ **لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ** ﴾[3] .

---

(١) الاساود: حيات سود، وأحدها: أسود، كما في العين ٢٨٢/٧، ولاحظ: الصحاح ٤٩١/٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣٦٤/٣ [الطبعة الأولىٰ، وفي طبعة قم ٢٣٩/٤]، وعنه في بحار الأنوار ١٣٧/٤٧ حديث ١٨٧.

(٣) سورة فصلت (٤١): ٤٢.

١٤ ـ قال علي بن أبي حمزة : كان لي صديق من كتّاب[1] بني أُميّة ، فقال لي : استاذن لي على أبي عبد الله عليه السلام . . فاستأذنت له ، فلمّا دخل سلّم وجلس ، ثمّ قال : جُعلت فداك ! إنّي كنت في ديوان هؤلاء القوم ، فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً وأغمضت في مطالبه .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : « **لولا أنَّ بني أُميّة وجدوا من يكتب لهم ، ويجبي لهم الفيء ، ويقاتل عنهم ، ويشهد جماعتهم . . لما سلبونا حقّنا ، ولو تركهم الناس وما في أيديهم ما وجدوا شيئاً إلّا ما وقع في أيديهم . .** » .

فقال الفتىٰ : جعلت فداك ! فهل لي من مخرج منه ؟

قال : « **إن قلتُ لك تفعل ؟** » .

قال : أفعل .

قال : « **اخرج من جميع ما كسبت في دواوينهم ، فمن عرفت منهم رددت عليه ماله ، ومن لم تعرف تصدقت به . . وأنا أضمن لك على الله الجنّة** » .

قال : فأطرق الفتىٰ طويلاً . . فقال : قد فعلت جعلت فداك !

قال ابن أبي حمزة : فرجع الفتى معنا إلى الكوفة فما ترك شيئاً على وجه الأرض إلّا خرج منه حتّىٰ ثيابه التي كانت علىٰ بدنه .

---

(١) في المناقب : من كبار .

قال : فقسمنا له قسمة واشترينا له ثياباً ، وبعثنا له بنفقة .

قال : فما أتى عليه أشهر قلائل حتّىٰ مرض ، فكنّا نعوده .

قال : فدخلت عليه يوماً ـ وهو في السياق[1] ـ ففتح عينيه ، ثمّ قال : يا علي ! وفىٰ لي والله صاحبك .

قال : ثمّ مات ، فولّينا أمره ، فخرجت حتّىٰ دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام . . فلمّا نظر إليَّ قال : « **يا علي ! وفينا والله لصاحبك** » .

قال : فقلت : صدقت جعلت فداك ! . . هكذا قال لي والله عند موته[2] .

فهو لم يكن سلام الله عليه مطّلعاً علىٰ مكنونات النفوس وحوادث الأيّام فحسب ، بل كان خبيراً عمّا حجب عن أعين البشر إلّا بالوسائل والأسباب المعروفة اليوم . . [بل عالم عمّا هو كائن إلى يوم القيامة] .

١٥ ـ وقال عليه السلام في شرح الأسماء الحسنىٰ للباري تعالىٰ :

---

(١) السياق ـ وسياق المريض ـ هو شروعه في النزع وخروج روحه ، أو إذا حضر روحه للموت ، كما في لسان العرب ٢٣١/٦ ، و ٣٤٩/٨ ، و ١٦٧/١٠ .. وغيرها .

(٢) بحار الأنوار ١٣٨/٤٧ ضمن حديث ١٨٨ ، عن المناقب لابن شهر آشوب ٣٦٥/٣ [٢٤٠/٤ من طبعة قم] من خرق العادات له عليه السلام .

« قلت إنّما سمّيناه لطيفاً ؛ للخلق اللطيف ، ولعلمه بالشيء اللطيف ممّا خلق من البعوض والذرّة ، وممّا هو أصغر منهما لا يكاد تدركه الأبصار والعقول ، لصغر خلقه من عينه وسمعه وصورته ، لا يعرف من ذلك لصغره الذكر من الأنثىٰ ، ولا الحديث المولود من القديم الوالد . . »[1] .

فكأنّه عليه السلام ببيانه هذا يخبر عن الحيوانات الصغيرة ـ التي لا تُرىٰ بالعين المجرّدة كالخلايا التي لم يكن يعرفها البشر آنذاك لكونها محجوبة عن الحواس والعقل ، إلّا أنّها كانت بيّنة في علمه المحيط بما بعد المحسوس ؛ حيث أخبر عنها من أنّ لها حياة ، وهي مؤلّفة من ذكر وأُنثىٰ ، ومنتشرة في أعماق البحار والسهول والجبال وحتّى عنان السماء .

مكارمه عليه السلام

لا يمكن الإحاطة بمكارم أخلاقه عليه السلام ، ومعالي أُموره ، بل لا يسع أحد أن يحرّرها ويستوعبها . . إلّا أنّا في هذه العجالة المختصرة نذكر بعض النماذج منها :

---

(١) بحار الأنوار ٣/١٩٤ ـ ١٩٥ باب من حديث المفضل بن عمر ، المشتهر بـ: الإهليلجية .

١ ـ نام رجل من الحاجّ في المدينة فتوهّم أنّ هميانه سرق.. فخرج، فرأى جعفر الصادق عليه السلام مصلّياً ولم يعرفه، فتعلّق به، وقال له: أنت أخذت همياني!

قال عليه السلام: «**ما كان فيه؟**».

قال: ألف دينار.

قال: فحمله إلىٰ داره ووزن له ألف دينار.. وعاد إلىٰ منزله، ووجد هميانه، فعاد إلى جعفر عليه السلام معتذراً بالمال، فأبىٰ قبوله، وقال: «**شيء خرج من يدي لا يعود إليّ**».

قال: فسأل الرجل عنه، فقيل: هذا جعفر الصادق عليه السلام.. قال: لا جرم هذا فعال مثله[1].

٢ ـ روي أنّه دخل سفيان الثوري على الإمام الصادق عليه السلام فرآه متغيّر اللون، فسأله عن ذلك، فقال: «**كنت نهيت أن يصعدوا فوق البيت، فدخلت؛ فإذا جارية من جواريّ ممّن تربّي بعض ولدي قد صعدت في سلّم والصبيّ معها، فلمّا بصرت بي ارتعدت وتحيّرت وسقط الصبي إلى الأرض فمات.. فما تغيّر لوني لموت الصبي.. وإنّما تغيّر لوني لما أدخلت عليها من الرعب**».

---

(١) بحار الأنوار ٤٧/٢٣ ـ ٢٤ حديث ٢٦، عن المناقب لابن شهر آشوب ٣/٣٩٤ [وفي طبعة قم ٤/٢٧٤].

وكان عليه السلام قال لها: «**أنتِ حرّة لوجه الله.. لا بأس عليكِ..**» مرّتين[١].

فهو سلام الله عليه يتغيّر لونه من أجل اضطراب تلك الأمة ووحشتها مع أنّها قد تخلّفت عن أمره ولم تمتثل نهيه، فكانت مذنبة تستحق التأنيب والمؤاخذة.. وسببت وفاة بضعته. وكي يجبر خاطرها قال لها مرّتين: «**أنتِ حرّة لوجه الله، لا بأس عليكِ**».

فمثل هذا الذي هو مظهر المغفرة والإسم الأعظم للباري تعالىٰ ﴿**غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[٢]، ومصداق ﴿**ٱلْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾[٣].

٣ـ كان للصادق عليه السلام ابن؛ فبينا هو يمشي بين يديه إذ غصّ فمات.. فبكىٰ، وقال: «**لئن أخذت لقد بقّيت، ولئن ابتليت لقد عافيت..**».

ثمّ حُمل إلى النساء، فلمّا رأينه صرخن فأقسم عليهنّ أن لا يصرخن.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٤/٢٧٤ ـ ٢٧٥ في معالي أُموره عليه السلام، وقد رواه عن الروضة.

(٢) سورة البقرة (٢): ١٧٣.

(٣) سورة آل عمران (٣): ١٣٤.

فلمّا أخرجه للدفن قال: « **سبحان من يقتل أولادنا ولا نزداد له إلّا حبّاً** ».

فلمّا دفنه قال: « **يا بني! وسّع الله في ضريحك وجمع بينك وبين نبيّك..** »[1].

وقال عليه السلام: « **إنّا قوم نسأل الله ما نحبّ فيمن نحبّ فيعطينا، فإذا أحبّ ما نكره فيمن نحب رضينا** »[2].

فهو عليه السلام قبال هذا المصاب الجلل الذي يرىٰ فيه ثمرة حياته في ريعانها قد فارقت الحياة فجاءة فهيّجته العواطف الأبويّة وأسالت دموعه الطاهرة.. ومع كلّ ذا فهو قد جاوز مقام التسليم - عند رابطة العبوديّة والمولويّة - أمام واهب المواهب التي لا تعدّ نعمه ولا تحصىٰ؛ فكان وفاة فلذة كبده - التي أرادها له معبوده - سبباً لازدياد علقته ومحبّته بربّه.

٤ - روي في حديث عنه عليه السلام أنّه قال: « **العارف؛ شخصه مع الخلق وقلبه مع الله، لو سهىٰ قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه، والعارف؛ أمين وقائع الله، وكنز أسراره،**

---

(١) الدعوات للقطب الراوندي: ٢٨٦ حديث ١٥، وعنه في بحار الأنوار ١٨/٤٧ حديث ٨، ومستدرك الوسائل ٤٨٠/٢ حديث ٢٥١٤.

(٢) الدعوات للقطب الراوندي: ٢٨٦ حديث ١٦، وعنه في بحار الأنوار ١٣٣/٨٢ ذيل حديث ١٦.

ومعدن أنواره ، ودليل رحمته علىٰ خلقه ، ومطيّة علومه ، وميزان فضله وعدله .. قد غنىٰ عن الخلق والمراد والدنيا ، ولا مؤنس له سوى الله ، ولا نطق ولا إشارة ولا نفس إلّا بالله ومع الله ومن الله .. فهو في رياض قدسه متردّد ، ومن لطائف فضله متزوّد .. والمعرفة أصل وفرعه الإيمان»[1] .

من كان ذا كلامه .. فلابدّ وأن يكون ذا سلوكه وعمله مع خالقه وخلقه .. !

٥ ـ روىٰ الشيخ الصدوق رحمه الله عن المعلّى بن خنيس أنّه قال : خرج أبو عبد الله عليه السلام في ليلة قد رشّت السماء وهو يريد ظلّة بني ساعدة ، فأتبعته فإذا هو قد سقط منه شيء ، فقال : « **بسم الله ؛ اللّهمّ ردّه علينا** » .

قال : فأتيته فسلّمت عليه .

فقال : « **معلّى .. ؟!** » .

قلت : نعم ؛ جعلت فداك !

فقال لي: «**التمس بيدك فما وجدت من شيء فادفعه إليّ**».

قال : فإذا أنا بخبز منتشر ؛ فجعلت أدفع إليه ما وجدت ، فإذا أنا بجراب من خبز ، فقلت : جعلت فداك ! أحمله عليّ عنك .

---

(١) مصباح الشريعة : الباب الواحد والتسعون : في المعرفة : ١٩١.

فقال : « **لا ، أنا أولى به منك ، ولكن أمضِ معي** » .

قال : فأتينا ظلّة بني ساعدة ، فإذا نحن بقوم نيام ، فجعل يدسّ الرغيف والرغيفين تحت ثوب كلّ واحد منهم حتّىٰ أتىٰ على آخرهم . . ثمّ انصرفنا . .

فقلت : جعلت فداك ! يعرف هؤلاء الحقّ ؟ !

فقال : « **لو عرفوا لواسيناهم بالدقة** » .

والدقة هي الملح[1] .

فلو كان مثل هذا سلوكه عليه السلام مع أهل الباطل . . فكيف ـ يا ترىٰ ـ تكون رعايته لأهل الحقّ وعطفه . . ؟ !

إنّ الله عزّ وجلّ الرحمن الرحيم . . التي عمّت رحمانيّته الصالح والطالح ، والكافر والمؤمن . . مثل الشمس التي تشعّ على الأزهار والأشواك . . ورحمته الرحيميّة التي تشمل حال خصوص عباده الصالحين . . وخليفة الله سبحانه هو المثل الأعلىٰ والآية الكبرىٰ لرحمة رحمانيته ورحيميته سبحانه وتعالىٰ .

٦ ـ وكان عمله هذا كلّ ليلةٍ ؛ فقد روىٰ الشيخ الكليني رحمه الله ـ في

---

(١) بحار الأنوار ٤٧/٢٠ ـ ٢١ حديث ١٧ ، عن ثواب الأعمال : ١٢٩ بزيادة فيه .

حديث صحيح ـ عن هشام بن سالم أنّه قال : كان أبو عبد الله عليه السلام إذا اعتمّ[1] وذهب من الليل شطره : أخذ جراباً فيه خبز ولحم والدراهم فحمله علىٰ عنقه ، ثمّ ذهب به إلىٰ أهل الحاجة من أهل المدينة فقسّمه فيهم ولا يعرفونه ، فلمّا مضى أبو عبد الله عليه السلام فقدوا ذلك فعلموا أنّه كان أبا عبد الله عليه السلام[2] .

٧ـ ورويٰ عن اسماعيل بن جابر أنّه قال : أعطاني أبا عبد الله عليه السلام خمسين ديناراً في صرّة ، فقال : « **ادفعها إلى رجل من بني هاشم ولا تعلمه أنّي أعطيتك شيئاً** » ، قال : فأتيته فقال : من أين هذا جزاه الله خيراً . . فما يزال كلّ حين يبعث بها فيكون ممّا نعيش فيه إلىٰ قابل ، ولكن لا يصلني جعفر بدرهم في كثرة ماله[3] .

٨ـ وروي[4] أنّ فقيراً سأل الصادق عليه السلام ، فقال لعبده : « **ما عندك ؟** » .

---

(١) في النهاية لابن الأثير ٣/١٨٠ حتّىٰ يُعتمّوا . . أي يدخلوا في عَتَمة الليل ، وهي ظُلْمَتَه . .

وقوله : إذا اعتم . . أي صلى صلاة الليل .

(٢) الكافي ٤/٨ صدقة الليل حديث ١ .

(٣) بحار الأنوار ٤٧/٥٤ حديث ٨٨ ، عن أمالي الشيخ الطوسي رحمه الله : ٦٦ .

(٤) مشارق أنوار اليقين : ١١٣ .

قال : أربعمائة درهم .

قال : « **أعطه إيّاها . .** » .

فأعطاه ، فأخذها وولّى شاكراً .

فقال لعبده : « **ارجعه** » .

فقال : يا سيّدي ! سألت فأعطيت فماذا بعد العطاء ؟

فقال له : « **قال رسول الله** ﷺ : « **خير الصدقة ما أبقت غنىً** » ، **وإنّا لم نغنك ، فخذ هذا الخاتم فقد أُعطيت فيه عشرة آلاف درهم . . فإذا احتجت فبعه بهذه القيمة** »[1] .

٩ ـ وروي عن إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب ، أنّه قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ـ وعنده المعلّى بن خنيس ـ إذ دخل عليه رجل من أهل خراسان ، فقال : يا ابن رسول الله ! أنا من مواليكم أهل البيت ، وبيني وبينكم شقّة بعيدة ، وقد قلّ ذات يدي . . ولا أقدر أن أتوجّه إلىٰ أهلي إلّا أن تعينني .

قال : فنظر أبو عبد الله عليه السلام يميناً وشمالاً ، وقال : « **ألا تسمعون ما يقول أخوكم ؟! إنّما المعروف ابتداء ، فأمّا ما أعطيت بعد ما سأل فإنّما هو مكافاة لما بذل لك من [ماء] وجهه** » .

---

(١) بحار الأنوار ٤٧/٦١ ذيل حديث ١١٦.

ثمّ قال : « فيبيت ليلته متأرّقاً متململاً بين اليأس والرجاء لا يدري أين يتوجّه بحاجته ، فيعزم على القصد إليك ، فأتاك وقلبه يجب[١] ، وفرائصه ترتعد ، وقد نزل دمه في وجهه وبعد هذا فلا يدري أينصرف من عندك بكآبة الردّ أم بسرور النجح ، فإن أعطيته رأيت أنّك قد وصلته ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « والذي فلق الحبّة ، وبرأ النسمة ، وبعثني بالحقّ نبيّاً ، لما يتجشّم من مسألته إيّاك أعظم ممّا ناله من معروفك » .

قال : فجمعوا للخراساني خمسة آلاف درهم ودفعوها إليه[٢].

فهو في الوقت الذي أعطىٰ السائل أربعمائة درهم . . لم يُعد ذلك إحساناً له ولا يعادل ما أعطاه إيّاه ذلّ سؤاله منه ، لذا أراد أن يحسن له إحساناً دائماً يمحو عنه ذلّ السؤال دوماً . . ويسبغ عليه عزّ الغناء أبداً .

* * *

---

(١) الوجيب : اضطراب القلب وشدة خفقانه ، وفي الصحاح : وجب القلب وجيباً : اضطرب .
انظر : الصحاح ٢٣٢/١ .

(٢) بحار الأنوار ٦١/٤٧ ـ ٦٢ حديث ١١٨ ، عن كتاب قضاء الحقوق للصوري .

هذا ؛ ولا تسع هذه الوريقات الإحاطة بما بقي منه عليه السلام من الأحاديث في أُصول العقائد . . ونحن نقتصر هنا على نماذج منها في كلّ واحد من الأُصول . .

نبذة من كلماته عليه السلام في المعرفة والتوحيد

قال رجل للإمام الصادق عليه السلام : يابن رسول الله ! دُلّني على الله ما هو ؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيّروني .

فقال له : « **يا عبد الله ! هل ركبت سفينة قطّ ؟** » .

قال : نعم .

قال : « **فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ، ولا سباحة تغنيك ؟** » .

قال : نعم .

قال : فهل تعلّق قلبك هناك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك » .

قال : نعم .

قال الصادق عليه السلام : « **فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث ..**»[1].

---

(١) بحار الأنوار ٣/٤١ ضمن حديث ١٦، عن أمالي الشيخ الطوسي رحمه الله ، ومعاني الأخبار للشسيخ الصدوق رحمه الله ، وتفسير الإمام العسكري عليه السلام .

إنّ الطرق للإيمان بالباري تعالىٰ ثلاث :

الأُولىٰ : معرفته سبحانه وتعالىٰ بذاته القدّوس . . وهي معرفة أولياء الله سبحانه ، وجاءت في كلام أمير المؤمنين عليه السلام : « **يا من دلّ على ذاته بذاته** »[١] ، وفي ما روي عن على بن الحسين عليه السلام إذ قال : « **بك عرفتك ، وأنت دللتني عليك** »[٢].

الثانية : الفطرة البشريّة ؛ وهي التي تبرز جليّاً وتظهر عند الانقطاع من الخلق واليأس من المعين والمنقذ .

الثالثة : التفكّر في مخلوقات الله ، ومن احتياج الممكنات في ذاتها وصفاتها إلىٰ الغني بالذات ، وآيات العلم والقدرة والحكمة الموجودة والظاهرة في خلقة كلّ موجود ، وما هناك من النظم الدقيق الحاكم علىٰ جميع أجزاء العالم وجزئياته . .

والإمام عليه السلام أبان في هذا الحديث الشريف الطريق الثاني .

وإمكان الوصول إلى هذه المعرفة والارتباط الفطري بالباري تعالىٰ ـ الحاصلة عند الاستئصال والانقطاع المطلق ممّا سواه ـ إنّما تكون في حال الاختيار بطريقي العلم والعمل .

أمّا الأوّل : بأن يتنوّر الإنسان بنور العقل ويرفع حجب

---

(١) بحار الأنوار ٨٧/٣٣٩ من دعاء الصباح .

(٢) بحار الأنوار ٩٥/٨٢ حديث ٢ ، عن الإقبال من دعاء السحر في ليال شهر رمضان .

الجهل والغفلة ليرىٰ أنّ وجود كلّ شيء، وكمال كلّ موجود ليس نابعاً من نفسه.. ويدرك أنّ كلّها تنتهي إلىٰ ذاته القدّوسيّة ﴿**هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾(١).

﴿**هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ**﴾(٢).

الثاني: أن يزيل عن روحه ـ بواسطة الطهارة والتقوىٰ ـ غشاوة الأدناس والرذائل النفسيّة.. إذ ليس بين الربّ والعبد حجاباً ومانعاً سوى حجب الجهل والغفلة، وغشاوة الذنب والرذيلة. التى تزول بالجهاد علماً وعملاً. ﴿**وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾(٣).

وأمّا الطريق الثالث؛ فهو الذي أملته لنا وعلّمتنا إيّاه أخبار أهل البيت عليهم السلام ندرج بعضها ذيلاً:

١ ـ روي عن هشام بن الحكم أنه قال: كان من سؤال الزنديق الذي أتىٰ أبا عبد الله عليه السلام أن قال: ما الدليل على صانع العالم؟!

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «**وجود الأفاعيل التي دلّت على أنّ صانعها صنعها.. ألا ترىٰ أنّك إذا نظرت إلى بناء مشيّد مبنيّ**

---

(١) سورة الحديد (٥٧): ٣.

(٢) سورة الحشر (٥٩): ٢٤.

(٣) سورة العنكبوت (٢٩): ٦٩.

علمت أنّ له بانياً وإن كنت لم ترَ الباني ولم تشاهده ؟! ».

قال : وما هو ؟

قال : « **هو شيء بخلاف الأشياء ؛ أرجع بقولي : شيء إلى إثباته وأنّه شيء بحقيقة الشيئيّة ، غير أنّه لا جسم ، ولا صورة ، ولا يُحسّ ، ولا يُجسّ ، ولا يدرَك بالحواس الخمس ، لا تدركه الأوهام ، ولا تنقصه الدهور ، ولا يغيّره الزمان .. »**[1].

٢ ـ وهو عليه السلام القائل لابن أبي العوجاء : « **أمصنوع أنت أو غير مصنوع ؟! ».**

فقال عبدالكريم بن أبي العوجاء : بل أنا غير مصنوع !

فقال له العالم عليه السلام : « **فصف لي لو كنت مصنوعاً كيف كنت تكون ؟! ».**

فبقي عبدالكريم ملياً لا يحير جواباً ..[2]

٣ ـ وكان ممّا قاله عليه السلام ـ أيضاً ـ لابن أبي العوجاء في المسجد الحرام :

« **.. إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما**

---

(١) الاحتجاج ٦٩/٢ ـ ٧٠، وعنه في بحار الأنوار ٢٩/٣ حديث ٣.

(٢) أُصول الكافي ٧٦/١ كتاب التوحيد ذيل حديث ٢.

يقولون ـ يعني أهل الطواف ـ فقد سلِموا وعُطبتم ، وإن يكن الأمر على ما تقولون ـ وليس كما تقولون ـ فقد استويتم أنتم وهم » .

فقلت له [أي ابن أبي العوجاء] : يرحمك الله ! وأي شيء نقول ؟ وأي شيء يقولون ؟ ما قولي وقولهم إلّا واحد ؟ !

فقال : « **فكيف يكون قولك وقولهم واحد ؛ وهم يقولون : إنّ لهم معاداً وثواباً وعقاباً ، ويدينون بأنّ للسماء إلهاً ، وأنّها عمران ، وأنتم تزعمون أنّ السماء خراب ليس فيها أحد »** .

قال : . . فاغتنمتها منه فقلت له : ما منعه ـ إن كان الأمر كما تقول ـ أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان ، ولِمَ احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل ؟ ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به .

فقال لي : « **ويلك ! وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك ؟! نشؤك ولم تكن ، وكبرك بعد صغرك ، وقوّتك بعد ضعفك ، وضعفك بعد قوّتك ، وسقمك بعد صحّتك ، وصحّتك بعد سقمك ، ورضاك بعد غضبك ، وغضبك بعد رضاك ، وحزنك بعد فرحك ، وفرحك بعد حزنك ، وحبّك بعد بغضك ، وبغضك بعد حبّك ، وعزمك بعد إبائك ،**

وإباؤك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاؤك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك، وعزوب ما أنت معتقده من ذهنك..؟!»..

ومازال يعدّ عليّ قدرته التي هي في نفسي التي لا أدفعها حتّىٰ ظننت أنّه سيظهر فيما بيني وبينه..[1]

فلو شاهد أحد بناء في فلاة ـ فمهما كان بسيطاً في هندسته المعمارية ـ فسوف يتسائل ـ وبلا تأمل ـ: من بنى هذا البناء؟! ولا يقول: ما السبب في ظهور هذا البناء.

ولا ريب أنّ العقل والفطرة تتطلب في كلّ ظاهرة علّتها الموجدة لها، إذ لا يرى المعلول منفكاً عن علّته، والدّار والجدار والسقف والسطح كلّها أمارة عن عالم خبير وبصير هو بانيها، وذلك في كلّ قسم من أقسام البناء إذ يبرز ما فيه من تناسب ودقّة.. وبملاحظة ما هناك من تناسب وظرافة في خارطة البناء يتوصّل بمراعاة تلك الأُصول الهندسيّة

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق ﷺ: ١٢٥ ـ ١٢٧ باب القدرة ضمن حديث ٤، وعنه في بحار الأنوار ٣/٤٣ ذيل حديث ١٨.

والمعماريّة إلىٰ العلم والمعرفة بصانعها وبانيها . .

فهل يا ترىٰ يمكن مقايسة ما في دلالة مثل ذاك البناء ـ حتى لو كان من قصور السلاطين ـ علىٰ علم وحكمة معماره . . مع ما يحكيه نظام وبناء العالم علىٰ علم وقدرة وحكمة بانيه . . ؟ !

٤ ـ قال الإمام السادس جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام للمفضّل : « **يا مفضّل ! أول العبر والأدلّة على الباري جلّ قدسه تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه ؛ فإنّك إذا تأمّلت العالم بفكرك ، وميّزته بعقلك . . وجدته كالبيت المبنيّ المعدّ فيهُ جميع ما يحتاج إليه عباده ؛ فالسماء مرفوعة كالسقف ، والأرض ممدودة كالبساط ، والنجوم منضودة كالمصابيح ، والجواهر مخزونة كالذخائر . . وكلّ شيء فيها لشأنه معدّ ، والإنسان كالمملّك ذلك البيت ، والمخوّل جميع ما فيه ، وضروب النبات مهيّأة لمآربه ، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه . . ففي هذا دلالة واضحة على أنّ العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملائمة ، وأنّ الخالق له واحد ، وهو الذي ألّفه ونظّمه بعضاً إلىٰ بعض . . جلّ قدسه ، وتعالىٰ جدّه ، وكرم وجهه ولا إله غيره ، تعالى عمّا يقول**

الجاحدون، وجلّ وعظم عمّا ينتحله الملحدون..»[١].

و قال [عليه السّلام] له ايضاً : « تأمل الحكمة فى خلق الشجر وأصناف النبات، فإنها لمّا كانت تحتاج الى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان، ولم يكن لها أفواه كأفواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذاء اصولها مركوزة فى الأرض لتنزع منها الغذاء فتؤدّيه إلى الأغصان وماعليها من الورق والثمر، فصارت الأرض كالأم المربية لها، وصارت أصولها التىهى كالأفواه ملتقمة للأرض لتنزع منها الغذاء كما يرضع أصناف الحيوان أمّهاتها.

ألاترى إلى عمد الفساطيط والخيم كيف تمدّ بالأطناب من كل جانب لتثبت منتصبة فلا تسقط ولا تميل، فهكذا تجد النبات كلّه له عروق منتشرة فى الأرض ممتّدة إلى كل جانب لتمسكه وتقيمه، ولولا ذلك كيف كان يثبت هذا النخل الطوال والدواح النطام فى الربح العاصف».[٢]

وقال [عليه السلام] له أيضاً : « تأمّل - يا مفضّل! - خلق الورق؛ فإنّك ترىٰ في الورقة شبه العروق مبثوثة فيها أجمع، فمنها غلاظ ممتدّة في طولها وعرضها، ومنها دقاق

---

(١) بحار الأنوار ٦١/٣ من حديث المفضل بن عمر.

(٢) بحارالأنوار ١٣١/٣.

تتخلّل الغلاظ منسوجة نسجاً دقيقاً معجماً لو كان ممّا يُصنع بالأيدي ـ كصنعة البشر ـ لما فرغ من ورق شجرة واحدة في عام كامل، ولأُحتيج إلىٰ آلات وحركة وعلاج وكلام.. فصار يأتي منه في أيّام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال والسهل وبقاع الأرض كلّها بلا حركة ولا كلام إلّا بالإرادة النافذة في كلّ شيء والأمر المطاع..

واعرف ـ مع ذلك ـ العلّة في تلك العروق الدقاق؛ فإنّها جعلت تتخلّل الورقة بأسرها لتسقيها وتوصل الماء إليها بمنزلة العروق المبثوثة في البدن لتوصل الغذاء إلىٰ كلّ جزء منها، وفي الغلاظ منها معنى آخر، فإنّها تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها لئلّا تنهتك وتتمزّق فترىٰ الورقة شبيهة بورقة معمولة بالصنعة من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة في طولها وعرضها لتتماسك فلا تضطرب،فالصناعة تحكي الخلقة وإن كانت لا تدركها على الحقيقة».

وقال [عليه السلام]: «فكّر في هذا العُجم والنوى والعلة فيه؛ فإنّه جعل في جوف الثمرة ليقوم مقام الغرس إن عاق دون الغرس عائق ـ كما يحرز الشيء النفيس الذي تعظم الحاجة إليه في مواضع أُخر ـ فإن حدث على الذي في بعض المواضع منه حادث وجد في موضع آخر، ثم بعد؛ يمسك

بصلابته رخاوة الثمار ورقّتهما ، ولولا ذلك لتشدّخت وتفسّخت وأسرع إليه الفساد . .»[١] .

فما هو العلم والحكمة الدفينة في الماء والتراب التي توجب دفع قشور الحبّة المغروسة ومنح الحياة النباتية لما فيها من ثمر و . .

فتعطي للجذور القدرة كي تشقّ الأرض وتجذب في ظلام التراب غذاءها وقوتها النباتيّة ، وفي كل قسم من صفحة التراب هناك قوة مختلفة مهيّأة لكلّ ثمرة . . بحيث كلّ ثمرة وشجرة تحصل علىٰ غذاءها المخصوص بها ، وما تحتاجه منها . . وقد فطمت جذور كلّ شجرة بحيث لا تجذب ولا تتغذّى ولا تمتصّ إلّا ما تحتاج من القوّة المخصوصة بها كي تعطيها الثمرة المختصة بتلك الشجرة . . وبذا تنافس الجاذبيّة الأرضيّة كي ترسل الماء والغذاء إلىٰ سيقان وشعيرات الشجرة . . ومقارناً لهذا النشاط العجيب للجذور في قلب التربة عند البحث عن الماء والغذاء . . هناك مساعي ونشاط في الساق والأوراق في الفضاء لجذب النور والهواء **«كل ميسّر لما خلق له . .»**[٢] .

---

(١) بحار الأنوار ٣/١٣١ ـ ١٣٢ من خبر توحيد المفضل بن عمر .

(٢) بحار الأنوار ٤/٢٨٢ . وفي الأمالي «إنّه ميّسر لما خلق له» وفي غوالي ←

ومهما حاولنا تغيير هذه السنة الحكيمة بأن نعكس ذلك ؛ ونقلب الجذور التي قرّر لها أن تشقّ أعماق التربة ، والسيقان التي أريد بها الانتشار في الفضاء . . بأن ندفع الجذور إلىٰ الفضاء والساقة إلىٰ تحت الأرض . . لما أمكننا ذلك ولقاومتنا طبيعتها . . وكلّ منها ماضٍ فيما قرّر له وسنّ ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾[1] .

إنّ التأمّل في خلقة شجرة واحدة وما فيها من عروق مبثوثة من جذورها وممتدة إلىٰ الآف من أوراقها بنظام دقيق ومحيّر . . وما تعطيه من قدرة وحياة لكلّ خلية . . خلية من خلايا أوراقها وثمارها . . حاملة لها الغذاء والماء بواسطة ما تجذبه من أعماق التربة . . كلّ هذا لوحده كاف للإنسان العاقل أن يؤمن بما هناك من علم وحكمة لا متناهية لصانعها ومدبّرها .

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِنَ ٱلسَّماءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾[2] .

← اللئالي ٤/٢٢ و ١١٧ . . عنه صلى الله عليه وآله وسلّم أنه قال : « ومن تخلّق بأخلاق الله فقد استحق الخلود في دارالبقاء ، وكلّ ميسّر لما خلق له » .

(١) سورة الأحزاب (٣٣) : ٦٢ .

(٢) سورة النمل (٢٧) : ٦٠ .

﴿ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِئُونَ ﴾[١] .

﴿ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾[٢] .

فلتأمّل في كل زرع وشجر من جذوره إلىٰ ثمره يعطي برهاناً وآية من آيات قدرته سبحانه وعلمه وحكمته ، والكلّ خاضع لما قرّر له من وجود ونماء ورشد . . ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾[٣] .

ومثل هذا ما لو تأمّلت ودقّقت في حياة كلّ حيوان لكان بحقّ مرشداً للإنسان إلىٰ معرفة الرحمن . .

٥ ـ دخل أبو شاكر الديصاني ـ وهو زنديق ـ علىٰ أبي عبد الله عليه السلام فقال له : يا جعفر بن محمّد ! دُلّني علىٰ معبودي . . ؟ !

فقال أبو عبد الله عليه السلام : « **اجلس** » . . فإذا غلام صغير في كفّه بيضة يلعب بها ـ فقال أبو عبد الله عليه السلام : « **ناولني يا غلام ! البيضة** » ، فناوله إيّاها .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : « **يا ديصاني ! هذا حصن مكنون له جلد غليظ ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق ، وتحت**

---

(١) سورة الواقعة : (٥٦) : ٧٢ .

(٢) سورة الحجر (١٥) : ١٩ .

(٣) سورة الرحمن (٥٥) : ٦ .

الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذائبة ، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضّة الذائبة ، ولا الفضّة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة ، فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن إصلاحها ، ولم يدخل فيها داخل مفسد فيخبر عن إفسادها ، لا يدرى للذكر خلقت أم للأنثىٰ ، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس .. أترىٰ لها مدبّراً ؟ ! »[1] .

فأي تدبير صنع تلك الحبيبات وعزلها بهذا الحصار المحكم من المادة الكلسية المصفّاة المودع فيها أسرار .. وأي مدبر عزل تلك الحبوب كي تأكلها الدجاجة .. وأودعها في مأمن مبيضها لنمو ورشد فراريجها .. فكانت تلك النطفة كاللؤلؤة في صدفها .. وحيث إنّ فرخ الدجاج بمعزل عن أُمه ، وليس له رحم في دوران جنينيّته كي يتغذّىٰ من رحم أُمّه .. لذا هيّأ له الغذاء في الحصار المحيط به ، وقرّر له ثمّة غشاء لطيفاً حاجباً بين قشره الكلسي الغليظ والفرخ وغذاءه ؛ كي لا يصله ضرر ولا يرد عليه عيب .. ويبدأ في ذلك المحيط المغلّق المظلم نمو أعضاء الفرخ وقواه من عظامه إلىٰ عضلاته وعروقه وأعصابه ، ثمّ رشد حواسه وإحساسه .. ويكفي التأمّل في حاسّة بصر ذلك الحيوان

---

(١) بحار الأنوار ٣/٣١ ـ ٣٢ حديث ٥ عن الاحتجاج .

المحيّر للعقول . . وكيفيّته ووضعه في محلّه المناسب . . وحيث يلزم ويضطر الفرخ لكي يحصل علىٰ رزقه أن يلتقط الحبّ من بين صخر وتراب . . جهّزه الباري بمنقار كالقرن محكماً كي لا يتصدّع أو يتضرّر من الحصىٰ والأحجار . . وكي لا يفوته رزقه أعطي كيساً (حوصلة) كي يودع فيه كلّ ما يحصل عليه من الحبوب والطعام ويحوّلها تدريجاً إلىٰ جهازه الهضمي . . ثمّ ألبس جناحه وبدنه ريشاً ؛ كي يحفظ جلده اللطيف من البرد والحرّ ، وإضرار الحشرات به ، وإيذاء بعض الحيوانات له . . وغير ذا من ضروريّات حياته الحيوانية . . تراه لم يغفل عن مستحباته في الاعتناء بمظهره الخارجي . . فكان أن لوّن ذلك الجناح والريش بألوان جذّابة رائعة ، عبّر عنها الإمام عليه السلام بقوله : « **تنفلق عن مثل ألوان الطواويس . .** »[1] .

ولاستمرار هذا التكامل هناك ثمة حاجة إلىٰ الحرارة الخاصّة المخزونة في صدر الدجاجة التي تمنعها من الحركة ويذهب كلّ ذلك الهيجان والتحرك فجأة فتصبح خاملة بعد أن كانت لا تهدأ في سعيها وحركتها سوى سواد الليل . . وتبقى حرارتها في صدرها مادام هناك حاجة لتلك الحرارة

---

(١) بحار الأنوار ٣٢/٣ عن الاحتجاج ، وقد سلف .

كي تحتضن بيوضها وتسقّف عليها . .

فأي حكمة يا ترىٰ تلقي هذا الخمول وتسلّط ذلك السكون على هذا الحيوان الأليف كي تمنح الحياة والحركة لأفراخها ؟ ! وأي معلّم يرشدها كي تقلّب البيضة في اليوم والليلة أكثر من مرة كي لا تفسد ولا ينخرم تعادلها . . ؟ !

وعندما تتمّ خلقة الفرخ . . يرشدها فطرياً إلى أن تكسر ذلك الكساء الكلسي بمنقارها كي تدخل خضم الحياة وهي تحمل لإدامة حياتها الأعضاء اللازمة والقوىٰ الضروريّة . .

فالفرخ الذي بحكم غريزته الحيوانيّة ليس له عامل آخر مؤثر فيه لاستمرار حياته ؛ بجلب الملائمات ودفع المكروهات . . فجاءة يحصل فيه نوع انقلاب بحيث يضحّي بحياته الغالية لحفظ فرخه . . وتبقىٰ فيه هذه العاطفة والتضحية مادام فرخه بحاجة إلىٰ الحفاظ والدفاع عنه .

ألا يكفي التأمّل في بيضة دجاجة كي ترشدنا إلىٰ ﴿ **ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ** ﴾[1] .

ومن هنا قال الإمام عليه السلام : « **أترىٰ لها مدبّراً ؟** » .

قال : فأطرق مليّاً ، ثمّ قال : أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله وأنّك إمام وحجّة

---

(١) سورة الأعلىٰ (٨٧) : ٢ ـ ٣.

من الله علىٰ خلقه ، وأنا تائب ممّا كنت فيه[١] .

٦ ـ عن هشام بن الحكم ، قال : قال لي أبو شاكر الديصاني : إنّ لي مسألة تستأذن لي علىٰ صاحبك ؛ فإنّي قد سألت عنها جماعة من العلماء فما أجابوني بجواب مشبع .

فقلت : هل لك أن تخبرني بها ، فلعلّ عندي جواباً ترتضيه .

فقال : إنّي أحبّ أن ألقىٰ بها أبا عبد الله [عليه السلام] ، فاستأذنت له ، فدخل فقال : أتأذن لي في السؤال ؟

فقال له : « **سل عمّا بدا لك** » .

فقال له : ما الدليل علىٰ أنّ لك صانعاً ؟ !

فقال : « **وجدت نفسي لا تخلو من إحدى جهتين ؛ إمّا أن أكون صنعتها أنا أو صنعها غيري ؛ فإن كنت صنعتها أنا فلا أخلو من أحد معنيين : إمّا أن أكون صنعتها وكانت موجودة ، أو صنعتها وكانت معدومة ؛ فإن كنت صنعتها وكانت موجودة فقد استغنت بوجودها عن صنعتها ، وإن كانت معدومة فإنّك تعلم أنّ المعدوم لا يحدث شيئاً ، فقد ثبت المعنى الثالث أنّ لي صانعاً وهو الله ربّ العالمين** » .

---

(١) بحار الأنوار ٣/٣٢ ذيل حديث ٥ عن الاحتجاج .

فقام وما أحار جواباً [١] . .

فما لم يكن ثمّ كان ؛ فإمّا أن يكون قد أوجد نفسه بنفسه أو أوجده غيره . . فإن كان هو أوجد نفسه بنفسه فلا يخلو ؛ إمّا أنّه أوجدها وكانت موجودة ، أو أوجدها وكانت معدومة ، والأوّل محال للزوم إيجاد الموجود ، وفي الصورة الثانية يلزم أن يكون المعدوم علة للوجود وذاك محال أيضاً . . أما لو أوجده غيره ؛ فإن كان ذلك الغير مثله لم يكن ثمّ كان . . كان حكمه حكم ذلك الشيء .

ويظهر من هذا الحديث الشريف بالضرورة العقلية أنّ كلّ ما لم يكن ثم كان لابدّ له من خالق وموجد لا يتصوّر فيه الفناء والعدم .

ومن هنا كان كلّ ما هناك من ظواهر طبيعية في العالم وتطوّرات حسيّة تكشف عن موجد لها لا موجد له . . وأنّها مصنوعة ومخلوقة لخالق ليس بمخلوق ولا مصنوع .

٧ـ عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله : ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ﴾ [٢] .

---

(١) كتاب التوحيد : ٢٩٠ ، باب أنّه عزّ وجلّ لا يعرف إلّا به ، حديث ١٠.

(٢) سورة الأنعام (٦) : ١٠٣.

قال : « **إحاطة الوهم ؛ ألا ترىٰ إلىٰ قوله : ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَبِّكُمْ﴾ ليس يعني بصر العيون ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ ليس يعني من البصر بعينه ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾[1] ليس يعني عمي العيون ، إنّما عنى إحاطة الوهم** . . »[2] .

فالباري سبحانه وتعالى أكبر من أن يرى بالبصيرة والعين الباطنية فضلاً من أن يشاهد بالباصرة الحسية . . وهذا منتهى المعرفة اللائقة بالمقام الربوبي في خفاء وفناء أنوار الحواس والأفكار والعقول مقابل نور ذاته القدوسي . . إذ إنّ رؤية ذاته القدوسي ليست برؤية القلوب والبصر والبصيرة . . ولا بالمشاهدة بالعيون أو بإدراك الأذهان ، بل رؤيته رؤية القلوب بحقائق الإيمان . .

٨ ـ روي عن هشام بن الحكم ، إنّ رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى له رضى وسخط ؟

قال : « **نعم ، وليس ذلك علىٰ ما يوجد من المخلوقين ، وذلك لأنّ الرضا والغضب دخّال ؛ يدخل عليه فينقله من**

---

(١) سورة الأنعام (٦) : ١٠٤ .

(٢) بحار الأنوار ٤/٣٣ حديث ١١ ، نقلاً عن الاحتجاج للشيخ الطبرسي رحمه الله ٢/٧٧ .

حال إلىٰ حال، معتمل مركب للأشياء فيه مدخل، وخالقنا لا مدخل للأشياء فيه، واحد، أحديّ الذات وأحدي المعنى، فرضاه ثوابه، وسخطه عقابه من غير شيء يتداخله فيهيّجه وينقله من حال إلىٰ حال، فإنّ ذلك صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين، وهو تبارك وتعالىٰ القوي العزيز، لا حاجة به إلىٰ شيء ممّا خلق، وخلقه جميعاً محتاجون إليه، إنّما خلق الأشياء لا من حاجة ولا سبب.. اختراعاً وابتداعاً»[1].

٩ ـ كما وقد سئل أبو عبد الله عليه السلام عن التوحيد، فقال: ـ ممّا قال ـ: «.. **والله نور لا ظلام فيه، وحيّ لا موت فيه، وعالم لا جهل فيه، وصمد لا مدخل فيه.. ربّنا نوريّ الذات، حي الذات، عالم الذات، صمديّ الذات..»**[2].

فهو واحد لا ثانٍ له، وأحد لا جزء خارجي ولا ذهني له.

١٠ ـ روى عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه

---

(١) بحار الأنوار ٤/٦٦ حديث ٧. نقلاً عن التوحيد للشيخ الصدوق رحمه الله: ١٦٩ حديث ٣، وجاء في أُصول الكافي ١/٩٨ حديث ٩، ومعاني الأخبار: ٢٠ باب معنى رضا الله عزّ وجلّ وسخطه حديث ٣.. وغيرها.

(٢) التوحيد: ١٤٠ باب صفات الذات و صفات الأفعال حديث ٤.

قال : « **قال في الربوبيّة العظمىٰ والإلهيّة الكبرىٰ : لا يُكوّن الشيء لا من شيء إلّا الله ، ولا يُنقل الشيء من جوهريّته إلىٰ جوهر آخر إلّا الله ، ولا ينقل الشيء من الوجود إلى العدم إلّا الله** »[1] .

إنّ واهب الوجود بعد العدم ، ومُعدم الموجود بعد الوجود ، ومبدّل الجوهر . . هو القدرة المطلقة الإلهيّة ؛ الذي ﴿ **علىٰ كلّ شيء قَديرٌ** ﴾[2] ، والإرادة النافذة التي ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾[3] .

١١ ـ وروي عن ابن أبي يعفور ، أنّه قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ** ﴾[4] فقلت : أمّا الأوّل فقد عرفناه ، وأمّا الآخر فبيّن لنا تفسيره ؟

فقال : « **إنّه ليس شيء إلّا يبيد أو يتغيّر ، أو يدخله الغير والزوال ، أو ينتقل من لون إلىٰ لون ، ومن هيئة إلىٰ هيئة ، ومن صفة إلىٰ صفة ، ومن زيادة إلىٰ نقصان ، ومن نقصان إلىٰ زيادة . . إلّا ربّ العالمين ؛ فإنّه لم يزل ولا يزال**

---

(١) التوحيد : ٦٨ باب التوحيد ونفي التشبيه حديث ٢٢.

(٢) سورة البقرة (٢) : ٢٠ و ١٠٦ و ١٠٩ . . إلى غير ذلك من الآيات.

(٣) سورة يس (٣٦) : ٨٢.

(٤) سورة الحديد (٥٧) : ٣.

واحداً؛ هو الأوّل قبل كلّ شيء، وهو الآخر علىٰ ما لم يزل، لا تختلف عليه الصفات والأسماء ما يختلف علىٰ غيره..»[١].

١٢ ـ وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه سأله رجل، فقال له: إنّ أساس الدين التوحيد والعدل، وعلمه كثير، ولابدّ لعاقل منه، فاذكر ما يسهل الوقوف عليه ويتهيّأ حفظه.

فقال عليه السلام: «**أمّا التوحيد؛ فأن لا تجوّز على ربّك ما جاز عليك، وأمّا العدل؛ فأن لا تنسب إلى خالقك ما لامكَ عليه**»[٢].

والمستفاد من كلامه عليه السلام في التوحيد هو: أنّ ما يمكن أو يجوز على الإنسان بل على العالم كلّه هو الاحتياج والافتقار في وجوده وكمالاته والتغيّر والتبدّل والتجزئة والتركيب.. فإنّه إن كانت حياة فقبلها عدم وبعدها موت، وإذا كان هناك علم فهو قرين الجهل؛ وقبله وبعده جهل، ولو كانت هناك قدرة فهي متاخمة وملازمة للعجز، وقبلها وبعدها عجز وضعف.. وكلّ كمال نسبي ومشوب بنقص، وكلّ وجدان

(١) كتاب التوحيد: ٣١٤ باب معنى الأول والآخر حديث ٢.

(٢) كتاب التوحيد: ٩٦ باب معنى التوحيد والعدل حديث ١، وسيأتي.

ملازم لفقدان ، وكلّ موجود مسبوق وملحوق بالعدم . . ولو كانت هذه الصفات جائزة وجارية على الربّ والخالق لكان هو مربوباً لا ربّاً ، ومخلوقاً لا خالقاً .

فالتوحيد هو أنّ كلّ ما تجوّزه على نفسك فلا تجوّزه علىٰ ربّك . .

١٣ ـ قال الصادق عليه السلام لهشام بن الحكم : « **ألا أعطيك جملة في العدل والتوحيد ؟** » .

قال : بلى جعلت فداك !

قال : « من العدل أن لا تتّهمه ، ومن التوحيد أن لا تتوهّمه »[1] .

فالإمام عليه السلام هنا علّم هشام كلمتين في العدل والتوحيد ؛ فتوحيده سبحانه هو أن لا تتوهّمه ، كما أنّ عدله هو أن لا تتهمه سبحانه . .

فالجملة الثانية ناظرة إلى أنّ كلّ ما يحيط به العقل أو الإدراك فهو قائم بهما ، وأنّ الله سبحانه وتعالىٰ قيّوم العقل والوهم والحسّ ، فلا يمكن أن يكون ما صنعه العقل والوهم

---

(١) بحار الأنوار ٥/٥٨ حديث ١٠٦ ، وهو مأخوذ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة حيث سئل عن ذلك فأجاب بمثل هذا ، وقد سلف .

خالقاً للعقل والوهم .. فالتوحيد ؛ هو أن لا تتوهّمه ..

١٤ ـ وروي عن زرارة أنّه قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « **إنّ الله تبارك وتعالىٰ خلو من خلقه ، وخلقه خلو منه ، وكلّ ما وقع عليه اسم شيء ـ ما خلا الله عزّ وجلّ ـ فهو مخلوق ، والله خالق كلّ شيء .. تبارك الذي ليس كمثله شيء** »[1] .

ولا يعرف قدر هذه الجواهر من المعارف إلّا من عرف عظمة خلقة العالم ؛ إذ تتجلّىٰ عظمة علمه وحكمته سبحانه من أصغر خلية إلىٰ أكبر منظومة شمسيّة ومجرّة .. ممّا ترى بعضها بعدسات العلوم ، مع ما هناك من نظم حاكم على كل جزء جزء ، بل كل نظام العالم .. وأنّه كيف علمه وقدرته غير المتناهية تنظّم وتسلك ملايين الكواكب ، وتدير ذلك بشكل ﴿ **لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾[2] .

وما هناك من آيات العلم والحكمة والقدرة في تركيب الكائنات ليس هو إلّا دليل الأسماء الحسنىٰ والصفات العليا

---

(١) التوحيد : ١٠٥ ، باب أنّه تبارك وتعالىٰ شيء ، حديث ٣.

(٢) سورة يس (٣٦) : ٤٠.

له سبحانه . . وحاكمية النظام الواحد على العالم شاهد علىٰ وحدته . .

ويظهر ممّا هناك من الفقر والاحتياج الذاتي في الكائنات مع افتقارها في وجودها ـ حدوثاً وبقاءاً ـ إلى ذلك الغني بالذات . . أنّ هناك ربّ شباهته بالخلق وشباهة الخلق به محال . . كما أنّ تشبيهه بالخلق وتشبيه الخلق به كفر . . وإدراكه غير ممكن بالحسّ والخيال والوهم والعقل . . [**﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾**[1]]

(سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلّا الله ، والله أكبر)

هذه رشفة من معين فيوضات كلمات الإمام السادس صادق آل محمد عليه‌السلام في المعرفة الإلهية وتوحيد الباري عزّ وجلّ . .

* * *

نبذة من كلماته عليه‌السلام في النبوّة

روي مسنداً عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله الصادق عليه‌السلام، أنّه قال للزنديق الذي سأله : من أين أثبت الأنبياء والرسل ؟ !

قال : « **إنّا لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن**

---

(١) سورة الأنعام (٦) : ١٠٣.

جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً.. لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه، فيباشرهم ويباشروه، ويحاجّهم ويحاجّوه.. ثبت أنّ له سفراء في خلقه يعبّرون عنه إلىٰ خلقه وعباده، ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم، وفي تركه فناؤهم.. فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، والمعبّرون عنه ـ جلّ وعزّ ـ وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه؛ حكماء مؤدّبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس ـ على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب ـ في شيء من أحوالهم، مؤيّدين من عند الحكيم العليم بالحكمة..

ثمّ ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان ممّا أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين؛ لكيلا تخلو أرض الله من حجّة يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته، وجواز عدالته[1]..»[2].

ولنذكر ابتداً شيئاً عن مبحث النبوة، وكذا خصائص النبي مجملاً، ثمّ نعقّب ذلك شرح الحديث الشريف السالف مختصراً؛ فنقول:

---

(١) أي جريان حكمه العدل.

(٢) أُصول الكافي ١٦٨/١ كتاب الحجّة حديث ١.

بعد أن ثبت وجود خالق حكيم تثبت ضرورة وجود النبوّة والنبّي . .

ولنبيّن أوّلاً ضرورة وجود التعليم والتربية الإلهية . . ولكي ندرك حاجة البشر وافتقاره لهداية الأنبياء لابدّ من معرفة خلقة الإنسان والهدف من تلك الخلقة ، والعوامل الموصلة والمانعة من ذلك الهدف ، ولا ريب أنّ الغور والتحقيق في عمق هذه المباحث ـ كما يظهر من عنوان البحث ـ لا تسعه هذه الوجيزة ، إلّا أنّا نشير إلىٰ بعض جهاته بقدر الضرورة . .

الأول : إنّ الإنسان موجود ذو غرائز مختلفة ، وتبدء حياته البشريّة من الحياة النباتيّة ـ التي هي أضعف المراتب الحيويّة ـ إلىٰ أن تصل إلىٰ الحياة العقلانيّة . .

والإنسان مخلوق مركب من طبع وعقل . . ومن جسم مع احتياجات محدودة ومتناهية ، ونفس مع متطلبات لا متناهية . . وفي ترقّيه وتعاليه يعلو على الملائكة . . وفي تنزّله وانحطاطه يحطّ عن البهائم . .

عن عبد الله بن سنان أنّه قال : سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه‌السلام ، فقلت : الملائكة أفضل أم بنو آدم ؟

فقال : « **قال أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب** عليه‌السلام : « **إنّ**

الله عزّ وجلّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة ، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل ، وركّب في بني آدم كليهما ، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ، ومن غلبت شهوته عقله فهو شرّ من البهائم »[١] .

وهذه الخلقة من الروعة بمكان بحيث بعد تسوية بدنه ونفخ من روحه فيه فاستحقّ أن يضاف إلىٰ ربّه[٢] . . وأصبح مخلوقاً مميّزاً عن جميع المخلوقات ، تظهر عظمته من قوله عزّ من قائل : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴾[٣] .

إن الإنسان يدرك أنّه لم يُخلَق لحياة ماديّة محدودة ، إذ إنّ الحكمة تقتضي التناسب بين كيفيّة خلق الانسان بما له من الاستعدادات وبين ماله من الهدف .

ولو كانت الحياة الإنسانيّة محدودة بالنشأة الدنيويّة لكفاه الغرائز الحيوانية من الشهوة والغضب ـ في جلب الملائمات ودفع المنافرات ـ في هذه الحياة . . فإعطاء العقل

---

(١) علل الشرائع ١/٤ ـ ٥ باب ٦ حديث ١.

(٢) إشارة إلىٰ قوله سبحانه من سورة الحجر (١٥) آية : ٢٩ ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ .

(٣) سورة المؤمنون (٢٣) : ١٤.

الذى يـحبّ اللامـتناهى مـن العـلم والتـخلّق بـالكمالات الأخلاقيّة والعمليه ، والفطرةِ التى كلما وصلت الى مـرتبة من الكمال تشتاق مرتبة اعلى منها ، ... ممّا يكشف أنّه خلق لحياة لا متناهية ، ونشأة غير محدودة ،كما جاء في الحديث النبوي الشريف :« **ما خلقتم للفناء بل خلقتم للبقاء ، وإنّما تنقلون من دار إلىٰ دار . .**»[١] .

ومن جهة أُخرى تقتضي الحكمة الإلهـيّة للـحكيم عـلى الإطلاق أن تهيّأ له عوامل فعلية تتناسب مع كلّ ما له من استعداد مكنون في أنواع الكائنات . . إذ من اللغو إفاضة قوة لا تـصل إلىٰ الفعليّة أبداً ، أو طلب شيء لا يصل إلىٰ مطلوبه دوماً .

فالعلم والقدرة اللامتناهية التي إذا أُودعت استعداداً في الحبة كي تصبح ثمرة ، هيّأ لها الماء والتربة والهواء عوامـل في إيصال رشدها إلى الثمرة . . واذا منح فـي نـطفة الإنسـان الاستعداد في تكوين الأعضاء والجوارح المختلفة ، خلَق لها رحم الأُم من أجل فعلية ذلك الاستعداد . . فكيف يـمكن أن يدع جوهر العقل ؛ الذي ثمرته هي العلم والعمل وأن يخلق لطـيفة الروح التـي لهـا الاستعداد لبـلوغ الكـمال العـلمي

---

(١) بحار الأنوار ٦/٢٤٩.

والخلقي والعملي ومعرفة الله بالله . . وأن لا يهيّئ وسائل وصول بذرة العقل لثمرها ، وكذا فعليّة استعداد روح الإنسان . . وأن لا يهديه إلىٰ المقصود الأصلي من الخلقة ؟ !

فهل يمكن أن يكون قانون ﴿ **أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ** ﴾[1] قد خصّ في خصوص الإنسان ؟ ! وعليه يتّضح وجه ضرورة وجود الهداية الإلهيّة لوصول الإنسان إلىٰ أهداف الخلقة الربانيّة .

الثاني : إنّ الإنسان بمقتضى فطرته يبحث عن خالقه ومكوّنه ، ويريد أن يعرف من أوجده بعد العدم ، ومنحه هذه القوى والأعضاء والجوارح ، وأجلسه علىٰ مائدة نعمته وإحسانه . . كي يؤدّي ما يفرضه عليه العقل من لزوم شكر ذلك المنعم الحقيقي . .

ومن جهة أُخرىٰ يرىٰ أنّ ساحته ومقامه أجلّ وأقدس وأعلى من أن يوجد معه رابطة وعلقة لحلّ مشاكله والإجابة عن أسئلة العالقة في ذهنه من الغارق في متاهات الجهل والخطأ ، والتاءه في أدناس الهوى والهوس . . ومع خالق الحسّ والمحسوس ، والوهم والموهوم ، والعقل والمعقول . . اللا متناهي في عظمة جماله وكماله . . سبوح وقدوس من

---

(١) سورة طه (٢٠): ٥٠.

تمام النقائص والقبائح . . وعليه يتّضح لزوم وجود واسطة التي هي مع وجود الصورة الإنسانيّة ـ الضروريّة من جهة الارتباط بالخلق ـ لها عقلانيّة منزّهة من الخطأ ، ونفس مقدّسة من الهوىٰ ، وسلوك إلهي ـ التي هي بحكم قانون التناسب بين الفاعل والقابل ملازمة للإرتباط مع الخالق ـ كي يليق به أن يتنوّر بنور الوحي . . وأن يفتح أبواب المعارف الإلهيّة للخلق ، وأن يهدي العباد للجادّة الوسطى ، والصراط المستقيم ؛ ذاك الدين القيّم بين عدم التفريط بتعطيل العقول عن معرفة الباري سبحانه وتعالىٰ أو الإفراط في تشبيه الحقّ سبحانه بالخلق . .

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١] .

الثالث: لقد أودع الإنسان قدرة خلّاقة فكريّة تمكّنه من استكشاف النواميس والأسرار الطبيعية واستخدامها ،كما أنّ له هوىً وهوس وشهوة وغضب . . وحيث إنّ له روح التكاثر والتزايد ـ التي هي من طبيعة الخلقة البشريّة ـ فلا حدّ مقنع لها . . ومع هذه الخصوصيات فإنّ صلاح الأرض وفسادها مرتبط بصلاح وفساد الإنسان ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا

---

(١) سورة الأنعام (٦) : ١٥٣ .

كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾[١] بل يتّضح بمقتضى قوله عزّ من قائل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَا فِي ٱلسَّمٰوٰاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢] أنّ صلاح وفساد الأجرام السماوية والأكوان الأُخرىٰ تابع ومرتبط بصلاحه وفساده.

والهداية الإلهيّة هي الوسيلة الوحيدة التي تضمن إرشاد وإصلاح مثل هذا المخلوق وتؤمّن له الاعتدال الفكري بالعقائد الحقّة، والاعتدال الروحي بالأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة..

الرابع: إنّ حياة الإنسان ـ نتيجة احتياجاته المختلفة ـ تربطه بالمجتمع، وهذا الارتباط له تأثيره وتأثره المتقابل.. وعليه يوجب علىٰ هذا حقوق مختلفة ومتعددة.. فالحياة الاجتماعيّة غير قابلة للبقاء من دون إحقاق تلك الحقوق.. كما لا يمكن تأمين تلك الحقوق ولا يتيسّر إلّا بوضع وإجراء قوانين مصونة من النقص والخطأ.. وأن يتنزّه مقام الوضع والإجراء من التأثّر بالمصالح الشخصيّة والانحراف عنّ الحقّ والعدالة.. وهذا المهمّ لا يتحقّق إلّا بواسطة القوانين والمقررات الإلهيّة التي تبلغ

---

(١) سورة الروم (٣٠): ٤١.

(٢) سورة الجاثية (٤٥): ١٣.

من قبل المنفّذين الربّانيّين . . ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1] .

وحيث ثبتت هذه الجهات وضرورة هداية الإنسان إلى المبدأ والمعاد والهدف من الخلقة . . اتّضح لزوم بلوغ الفرد إلىٰ كماله النظري والعملي ، وتعديل أهواه النفسانيّة وتأمين حقوقه الفرديّة والاجتماعيّة . . وعليه يجب أن يعلم أنّ هذه المقاصد لا يمكن تحقّقها إلّا عن طريق الوحي والنبوّة . . ولا يتأتّى تأمين هذه الأمور المهمّة بواسطة الفكر المشوب بالخطأ ؛ إذ لا يسع تلك الأيدي المكبّلة بسلاس الأهواء والأميال والملوّثة بها ، ولا يمكن أن يستضيئ الفكر البشري من دون نور المعرفة لرفع نقاط الإبهام المتواجدة في فطرته .

فالإنسان حيث بادر بنور أفكاره الخلّاقة للبحث عن أسرار الطبيعة . . اصطدم و فوجئ ببطلان ما كان يعتقده من تركيب بدنه من العناصر الأربعة ، وأن يكون منشأ علل الأمراض نابع من تخالف الطبائع الأربعة . . وما كان قد نسجه وتصوّره من أنّ خلقة العالم من التراب ، والماء ، والهواء ، والنار ، وأنّ الأجرام السماويّة غير قابل للخرق والالتيام . . كلّها نظريات أصبحت اليوم هباء منثوراً ،

---

(١) سورة الحديد (٥٧) : ٢٥.

واتّضح له أنّه جاهل بأقرب الموجودات لنفسه التي هي تركيبة بدنه ، ولا خبر ولا خُبر له بعلل مرضه وصحته ، وخطأ ما كان يعتقده بالنسبة إلىٰ الأجرام السماويّة القريبة من أعيننا كالقمر . . فهل يسع ويمكن لأنوار أفكار مثل هذا الإنسان أن يهتدي إلىٰ معرفة المبدأ والمعاد وما يوجب سعادته وشقاءه ؟ !

فالعلم البشري العاجز عن درك الأسرار الخفيّة في قلب الذرّة كيف يستطيع أن يكون الهادي لمبدأ ومنتهىٰ الإنسان والعالم ، وأن يكون حلالاً لمشاكله في المعرفة بالمبدأ والمنتهىٰ ، والمرشد له في سعادته دنيوية وأُخروية . . ؟ !

[ولعلّه لهذا يشير ما جاء عن مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول :]

« . . فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِياءَهُ ؛ لِيستأدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ ، وَيُذَكِّروهُمْ مَنسيَّ نِعْمَتِهِ[١] ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبليغِ ، ويَثيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُولِ ، وَيُروهُم الآياتِ المُقَدَّرَةَ . . »[٢] .

---

(١) إشارة إلى قوله عزّ من قائل في سورة المائدة (٥) : ٧ : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ ﴾ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة الأولىٰ : ١٧ ، تحقيق محمّد محي الدين عبدالمجيد ، مصر ، مطبعة الاستقامة .

خصائص الأنبياء عليهم السلام :

للنبيّ خصائص خاصّة به ، نقتصر بذكر خاصتين منها :

الف ـ العصمة:

ولإثبات عصمة الأنبياء عليهم السلام أدلّة كثيرة نشير لبعضها :

١ ـ ثمّة هناك سنة وطريقة لوصول كلّ موجود إلىٰ كماله الذي خلق من أجله . .

واتّضح ممّا ذكرناه من المباحث السالفة أنّ السنّة والوسيلة لوصول الإنسان إلىٰ كماله المطلوب من خلقته هي الهداية الإلهيّة والدين الحقّ .

وتحقّق ذلك الكمال يرتبط بتبليغ وإجراء هذه السنة والطريقة وتطبيقها ، والنبيّ هو المتعهد لتعليم الإنسان وتربيته علىٰ أساس هذه السنة ، ويلزم نقض الغرض فيما لو حدث تخلّف في تبليغ وإجراء هذه السنّة . .

ثمّ إن تخلّف مبلّغ الوحي والمربّي الإلهي عن ذلك إمّا نتيجة الخطأ أو الهوىٰ . . وكلّ منهما لو كان لما حصل المقصود الإلهي . .

وعليه ؛ إنّ كمال الهداية يستدعي كمال الهادي ، وعصمة الدين والسنة إلهيّة التى ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ**

وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ﴾[١] ، تستلزم عصمة المعلّم والمجري لتلك السنّة والطريقة . .

٢ ـ إن الدين قدجاء ـ من جهة العقل والنقل ـ ليحيي الإنسان حياة طيّبة ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٢] .

وإنّ ماء الحياة الطيّبة للإنسان هو الإيمان والعمل الصالح الذي يتألّف من مجموعهما الدين ، وطريق وصول ماء الحياة هذا هو بوجود النبي . . ولو دُنّس مسيل هذا الماء فسوف يتلوّث الماء أيضاً ، ولا ريب أنّ من الماء الملوّث لا يمكن البلوغ إلىٰ حياة طيّبة .

٣ ـ حيث كان حصول الغرض من بعثة النبي بإطاعة أمره ونهيه ، ومن جهة أُخرىٰ لا يجوز إطاعة الخاطئ والمذنب . . فعليه عدم عصمة الرسول من الخطأ والذنب يوجب نقض الغرض وبُطلان الهدف من بعثة الأنبياء .

٤ ـ لو لم يكن النبي معصوماً من الخطأ والانحراف فلا يحصل اليقين للأُمّة بصدق ما يخبر به وصحّة كلامه فيما

---

(١) سورة فصلت (٤١) : ٤٢.

(٢) سورة النحل (١٦) : ٩٧.

يبلّغ به من الوحي ، ولو لم يكن معصوماً لكان صدور الذنب منه مسقطاً له عن الأنظار . . ولم يكن لقوله في النفوس أثر بعد أن كان عالماً بلا عمل ، وواعظاً غير متّعظ . . ويبطل بذلك الغرض المقصود من البعثة .

٥ ـ لا شكّ أنّ منشأ الخطأ والذنب ما هو إلّا ضعف العقل والإرادة ، فإنّ العقل الكامل المتحلّي بالوحي البالغ حقّ اليقين بحيث يرىٰ كلّ شيء كما هو ، والإرادة التي لا تتأثّر بغير إرادة الباري عزّ اسمه . . كلاهما لا تدعان مجالاً للخطأ والذنب في وجود النبي . .

ب ـ المعجزة:

من الواضح أنّ قبول أيّ دعوىٰ يفتقر إلىٰ دليل . . ويلزم أن تكون الرابطة بين الدليل والمدّعي بشكل يكون اليقين بحقانيّة الدعوىٰ غير منفك عن الدليل بحال . . ودعوىٰ النبي للسفارة من جانب الربّ عزّ وجلّ لا تثبت بدون تصديق قوله من ناحية الباري سبحانه ، والمعجزة تصديق عملي من الله تعالىٰ بما يدّعيه رسوله ؛ إذ إنّ حقيقة المعجزة هي التي تُوجَد ـ بدون وساطة سبب عادي ـ بإرادة من المحيط بالأسباب والمسببات ، وتأثيرِ السبب في المسبب ، وتأثّرِ المسبب من السبب .

فمدّعي النبوّة ؛ إن أمكن صدق دعواه من جهة عقليّة ، وقارن دعواه بظهور خارق عادة منه وإعجاز . . يكون شاهداً قطعيّاً على حقانيّته ؛ إذ لو لم يكن على حقّ في دعواه كان صدور خارق العادة منه تصديقاً للكاذب ، وأوجب ضلال العباد . . وهذا ما يتنزّه عن ساحة قدسه الربوبيّة .

وبعد كل هذا ؛ نجمل شرحاً مختصراً للحديث الشريف الذي أوردناه . .

شرح الحديث الشريف

إنّ من المباحث التي أشار لها الإمام الصادق عليه السلام وتعرّض لها في هذا الحديث الشريف بالنسبة إلى النبوّة هو قوله عليه السلام : « **وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً ..** » إلىٰ قوله: « **يدلّونهم** »، فقد أشار إلىٰ ضرورة بعثة الأنبياء . . إذ كلّ ما يصدر من الإنسان من حركة وسكون ، وفعل وترك . . إمّا ينفعه في دنياه وآخرته ، أو يضرّهما ، أو لا يضرّ ولا ينفع . .

وعلىٰ كلّ حال ؛ فالإنسان محتاج إلى أن يعلم ما ينفعه ويضرّه وما فيه مصلحة ومفسدة لدنياه وآخرته . . ومثل هذه المعرفة لا تتأتى إلّا ممّن هو محيط بتمام حركات الإنسان ، وسكناته وأفعاله وتروكه ، في حياته الدنيويّة

والأُخرويّة . . وذاك هو خالق الإنسان والدنيا وما فيها والآخرة والأُولىٰ . .

وتقتضي حكمة الباري سبحانه الهداية . . وحيث لا يمكن هدايته بدون واسطة ـ لتعاليه ـ فلابدّ من وجود السفراء الربّانيّين الذين « **يدلّونهم علىٰ مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناءهم . .** » .

ولما في هذا البيان من خصوصيّة لشموله عموم المصالح والمنافع الإنسانيّة في كلّ عوالم وجوده . . امتاز هذا البرهان عن برهان الحكماء في النبوّة . . الذي يبتني على كون الإنسان مدنياً بالطبع ، وأنّه لابدّ من العدل في معاملاته وروابطه الاجتماعيّة .

وأشار عليه السلام إلى امتيازهم في وجودهم ـ بالنظر لاشتراكهم مع الخلق وامتيازهم عن الخلق ، وما لهم من مشتركات ومختصّات ـ بقوله : « **غير مشاركين للناس ـ على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب ـ في شيء من أحوالهم** » .

وبيّن بقوله : « **صفوته من خلقه** » اصطفاء الأنبياء عن سائر الخلق . . ؛ وبخلقتهم المصطفاة أمكنهم أن يحظوا بمقام الوساطة بين الخالق والخلق . . لإيجاد الربط بين العالي والداني .

وتتّضح منزلة النبي ممّا عبّر به عليه السلام عن الله سبحانه

بقوله : « **يعبّرون عنه** » مثله مثل اللسان المعبّر به عمّا في الضمير ؛ حيث ينقل إلىٰ الخلق مقاصد الباري سبحانه وتعالىٰ ، وتلك منزلة تستدعي قداسة الرسول وعصمته .

وفي قوله : « **يكون معه علم يدلّ علىٰ صدق مقالته ، وجواز عدالته** » دليل علىٰ لزوم المعجزة لإثبات النبوّة . . وحيث كان منشأ النبوّة حكمة الحكيم على الإطلاق التي ثمرتها الحكمة أيضاً ﴿ **قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ..** ﴾[1] ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ..** ﴾[2] قصد منه إظهار امتياز الحكمة النظريّة والعمليّة للأنبياء ، من جهة أنّ الحكمة النظرية والعملية للبشر مبتنية على الفكر ، وأمّا هذه فبمقتضى قوله : « **يعبّرون عنه** » و « **ومن عند الحكيم العليم** » تكون كالسراج المنير المضيء من دون حاجة إلىٰ التعليم والتربية البشريّة لارتباطه بنور السموات والأرض ﴿ **يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ** ﴾[3] .

ومع أنّه قال : « **حكماء مؤدّبين بالحكمة** » عقّب عليه بقوله : « **مؤيّدين من عند الحكيم العليم بالحكمة** » ،

---

(١) سورة الزخرف (٤٣) : ٦٣ .

(٢) سورة النحل (١٦) : ١٢٥ .

(٣) سورة النور (٢٤) : ٣٥ .

فأشار عليه السلام فى الجملة الأولى إلى تأديب الانبياء بالحكمة من عندالله ، وفى الجمله الثانية الى تأييدهم بالحكمة من عند الحكيم العليم . وارتباط حكمة الأنبياء ومدرسة الوحي من جهة الحدوث والبقاء بمقام عنديّة الحكيم العليم . . يكشف عن امتياز تلك الحكمة عن الفكر البشري ، ويتّضح بذلك مقدار ما هناك من تمايز بين ما عند الله وما عند الناس .

وقوله : « **وكان ذلك الصانع الحكيم** » وصف الأنبياء بـ « **حكماء مؤدّبين بالحكمة ، مبعوثين بها** » يبيّن أنّ العلّة الفاعليّة والعلّة الغائيّة للنبوّة : الحكمة ، كما أنّ الحدّ الوسط بين المبدأ والمنتهىٰ هي الحكمة أيضاً ﴿ **يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾[1] .

وهناك مباحث مهمّة وثمينة أُخرىٰ في كلام الإمام عليه السلام مع ما هناك من إشارات ولطائف صرفنا النظر عنها رعاية للاختصار.

* * *

---

(١) سورة الجمعة (٦٢): ١ ـ ٢.

نبذة من كلامه عليه السلام في المعاد

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام ـ فيما احتجّ به على الزنديق حين سأل منه : كيف لا يقتصر على هـذه الدار فـيجعلها دار ثوابه ، ومحتبس عقابه ؟ ـ

قال عليه السلام : « **إنّ هذه الدار دار ابـتلاء ، ومـتجر الثـواب ، ومكتسب الرحمة .. ملئت آفات، وطبّقت شهوات؛ ليختبر فيها عبيده بالطاعة ، فلا يكون دار عمل دار جزاء** »[1] .

قال : « **وأنّى له بالبعث . . ! والبدن قد بلى ، والأعضاء قد تفرّقت ، فعضو ببلدة يأكلها سباعها ، وعضو بأُخرى تمزّقه هوامها، وعضو قد صار تراباً بني به مع الطين حائط ؟ !** »[2].

ومراده عليه السلام ؛ أنّ الذي أنشأه من غير شيء ، وكان قد صوّره على غير مثال سبق إليه قادر أن يعيده كما بدأه أوّل مرة . .

فمن أنشأه أوّلاً بعلمه وقدرته وحكمته من دون مـثال سابق له كيف يمكن أن يكون عاجزاً عن إيجاده مع سابقته له مرّة أُخرى . . ؟ !

---

(١) الاحتجاج للشيخ الطبرسي رحمه الله ٢ / ٨٠.

(٢) الاحتجاج للطبرسي رحمه الله ٢/٩٧.

وما أكلته السباع وتغذت عليه الكائنات كلّه محفوظ في التراب . . ومن لا يخفى عليه عدد الأشياء ومقدارها ، وجرم الأجرام ووزنها . . في ظلمات الأرض وما سواها . . كيف يخفى عليه أجزاء البدن المنثورة . . ؟ !

وما يستفاد من كلام الإمام عليه السلام أنّ معرفة المبدأ مفتاح قفل معرفة المعاد . . وإثبات المعاد بالدليل العقلي والنقلي مبني على العقل . .

ونستعرض هنا ـ في هذه العجالة ـ إلى أربعة من الأدلة العقلية مجملاً :

١ ـ عقل كلّ عاقل يدرك أنّ العالم والجاهل ، والمتخلّق بالآداب والأخلاق الكريمة ـ كالجود والكرم ـ والمتّصف بالرذائل الرديئة ـ كالبخل والحسد ـ والمحسن والمسيء . . كل أُولئك ليسوا على حدّ سواء ، ومن الظلم عدم إعطاء جزاء كلّ منهم بحسب عمله .

ومن جهة أُخرى ؛ أنّ الأخيار لا يتكافؤون ولا يكافؤون بأعمالهم ، كما أنّ الأشرار لا يجازون بشرورهم في هذه الحياة الدنيا كما هم أهله ويستحقّونه ، ومن الظلم عدم وجود حياة أُخرى مقرونة بالحساب والثواب والعقاب . . بحسب ما هناك من عقائد وأخلاق وأعمال للفرد . . والعدالة

الإلهية تلزم وتوجب أن يكون هناك ثمّة حشر ونشر، وحساب وثواب وعقاب.. ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[1].

٢ ـ لا يصدر من الربّ الحكيم ـ جلّ وعلا ـ عملاً عبثاً ولغواً، وخلق الإنسان وأودع فيه وخلق ـ عدا القوىٰ الضروريّة في حياته النباتية الحيوانيّة ومثل الجذب والدفع والشهوة والغضب ـ قوى أُخرىٰ كي توصله إلىٰ الكمالات العلميّة والفضائل الأخلاقيّة، من القول الصادق والسلوك الحميد.. ولا حدّ يقف أمامه عند عروجه في تلك الكمالات، فهو لازال يتعطّش إلى المرتبة التي بعدها في أي مرتبة علميّة أو قدرة عملية بلغها.. وما إرساله الرسل والأنبياء إلّا لإرشاد هذه الفطرة ونموها.. كي يهديها إلىٰ مبدأ الكمال اللامتناهي.. ولو كانت الحياة محدودة بالعمر البشري الطبيعي في هذه الدنيا لكان من العبث وجود مثل هذه الفطرة، ولكان بعثة الأنبياء لهداية هذه الفطرة لغواً..

فاقتضت الحكمة الربانيّة ـ بل أوجبت ـ أن لا تختم الحياة البشريّة بالأيّام الماديّة والأعمال الحيوانيّة.. وأن تستمرّ الحياة الإنسانيّة للوصول إلىٰ كمال المقصود من الخلقة

---

(١) سورة ص (٣٨): ٢٨.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾(١) .

٣ ـ إنّ الفطرة البشريّة تحكم بلزوم إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه ، وأن يؤخذ بحقّ كلّ مظلوم من ظالمه . . وهذه الفطرة البشريّة ـ بأيّ مسلك كانت ، وأيّ عقيدة أُخذت ـ دعت إلىٰ تأسيس المراجع القضائيّة والمحاكم القانونيّة لإقامة العدل والإنصاف .

واتّضح من جهة أُخرىٰ أنّ كثيراً من الظالمين قضوا حياتهم في مناصبهم بكلّ عزة واقتدار ، وأنّ كثيراً من المظلومينْ هلكوا وبادوا تحت ضربات وتعذيب الظالمين . . فالحكمة والعدل والعزّة والرحمة الإلهيّة توجب عقلاً أن يؤخذ للمظلومين حقّهم من الظالمين .

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ ٱللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلأَبْصَارُ﴾(٢) .

٤ ـ إنّ الحكمة الإلهيّة تقتضي أن يهيّئ للانسان الوسيلة لوصوله إلىٰ الغرض من الخلقة وثمرة وجوده . . ولا يتأتى ذلك إلّا بأمره بما يوجب سعادته ، ونهيه عمّا يوجب شقاءه وتعاسته ، ولا يتيسّر إجراء تلك الأوامر الإلهيّة مع مخالفتها للهوىٰ وهوس النفس الإنسانية الطاغية إلّا بأن يكون هناك

---

(١) سورة المؤمنون (٢٣) : ١١٥ .

(٢) سورة إبراهيم ﷺ (١٤) : ٤٢ .

خوفاً ورجاءً . . وهذان لا يتحقّقان إلّا بالبشارة والإنذار . . والبشارة والإنذار هما المستلزمان للثواب والعقاب ، ووجود النعم والنقم فيما بعد هذه الحياة المادية . . وإلّا لكانت البشائر والنذر كلّها كاذبة . . والباري سبحانه وتعالىٰ منزّه من القبيح . .

* * *

نبذة من كلامه عليه‌السلام في العدل

١ ـ قال الإمام السادس عليه‌السلام : « . . **أمّا التوحيد ؛ فأن لا تجوّز على ربّك ما جاز عليك ، وأمّا العدل ؛ فأن لا تنسب إلىٰ خالقك ما لامَكَ عليه** »[١] .

لقد سلف مجملاً شرح كلامه عليه‌السلام في التوحيد في مبحثه ، وبيان كلامه عليه‌السلام في العدل هو : إنّ الإنسان بفطرته يدرك حسن العدل ، وقبح الظلم ، بل لو نسب الظلم إلى الظالم لتنفّر من هذه النسبة ، كما أنّه يسترّ ويفرح فيما لو وصف بالعدل والقسط ، ومثله ما لو حكم القاضي ـ خوفاً أو طمعاً ـ بنفع مجرم الذي تمام همّه وسعيه هو الوصول إلى باطله . .

(١) التوحيد للشيخ الصدوق رحمه‌الله : ٩٦ باب معنى التوحيد والعدل، حديث ١.

فالمجرم هنا راض ومستر من القاضي لتأمينه هواه وهوسه . . إلّا أنّ عقله وفطرته تقضي بقبح عمل القاضي وسوء فعله ودناءة نفسه . . كما أنّ القاضي لو حكم بالحقّ والعدل من دون طمع بماله أو خوفاً من قدرته ـ بضرر ذاك المجرم ـ . . فهو وإن غضب على القاضي . . إلّا أنّ عقله وفطرته تبجّل القاضي وتحترمه ، وتمجّد حكمه وتحسّنه . .

فالله سبحانه وتعالىٰ حيث خلق في البشر هذه الفطرة ومنحه ضياء العقل الذي يرىٰ بنوره حُسن العدل وقبح الظلم ، ومدحه بالعدل ولامه على الظلم . . كيف يمكن أن يتّصف سبحانه وتعالىٰ بما لام الخلق عليه ؟ !

وكفانا هذا الدليل على كون الله سبحانه عادلاً وليس بظالم .

٢ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام لهشام بن الحكم : « **ألا أعطيك جملة في العدل والتوحيد . . ؟ !** » .

قال : بلىٰ ؛ جعلت فداك !

قال : « **من العدل أن لا تتّهمه ، ومن التوحيد أن لا تتوهّمه . .** »[1] .

---

(١) بحار الأنوار ٥/٥٨ حديث ١٠٦ ، وهو مأخوذ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة ، وقد سلف .

وشرح كلامه عليه السلام في العدل هو : إنّ منشأ الظلم : إمّا الجهل بقبح الظلم ، أو العجز والضعف عن الوصول إلى الهدف بواسطة الحقّ والعدل . . وبسبب هذا العجز يستعان بالظلم للوصول إلى الهدف . . ومن الواضح أنّه يستحيل على الله سبحانه الجهل والعجز ، إذ هما نقص . . والتركيب من الكمال والنقص على الله سبحانه الواحد الأحد محال .

وعليه ؛ علمه بكلّ شيء ، وقدرته علىٰ كلّ شيء ، وحكمته في كلّ شيء . . توجب أن ينزّه عن الظلم ، وأن يعدل في الخلق ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ** ﴾[1] .

كما أنّه عادل في عباده يوم حساب عبيده وجزاهم ﴿ **قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** ﴾[2] .

وحيث كانت التهمة هي نسبة العيب الذي ليس فيه إليه ؛ فمن نسب للباري تعالىٰ العليم القادر الحكيم : الظلم ـ والعياذ بالله ـ فقد اتّهم الله سبحانه بالجهل أو العجز أو السفه ، ومن هنا قال الإمام الصادق عليه السلام : « **من العدل أن لا تتّهمه** » .

* * *

---

(١) سورة آل عمران (٣) : ١٨.

(٢) سورة يونس (١٠) : ٤٧.

نبذة من كلامه عليه السلام في الإمامة

رویٰ الكليني رحمه الله عن محمّد بن إسماعيل ، وهو عن الفضل بن شاذان ، وهو عن صفوان بن يحيى ، وهو عن منصور بن حازم ، أنّه قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنّ الله أجلّ وأكرم من أن يعرف بخلقه ، بل الخلق يعرفون بالله .

قال : « **صدقت** » .

قلت : إنّ من عرف أنّ له ربّاً فقد ينبغي له أن يعرف أنّ لذلك الربّ رضاً وسخطاً ، وأنّه لا يعرف رضاه وسخطه إلّا بوحي أو رسول . . فمن لم يأته الوحي فقد ينبغي له أن يطلب الرسل ؛ فإذا لقيهم عرف أنّهم الحجّة ، وأنّ لهم الطاعة المفترضة ، وقلت للناس : تعلمون أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان هو الحجّة من الله على خلقه ؟ قالوا : بلىٰ ، قلت : فحين مضى رسول الله صلّى الله عليه وآله من كان الحجّة علىٰ خلقه ؟ ! فقالوا : القرآن . . فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجي والقدري والزنديق ـ الذي لا يؤمن به ـ حتّىٰ يغلب الرجال بخصومته ، فعرفت أنّ القرآن لا يكون حجّة إلّا بقيّم . . فما قال فيه من شيء كان حقّاً .

فقلت لهم : من قيّم القرآن ؟

فقالوا : ابن مسعود ! قد كان يعلم . . ! وعمر يعلم . . ! وحذيفة يعلم . . !

قلت : كلّه ؟ !

قالوا : لا ، فلم أجد أحداً ـ يقال : إنّه يعرف ذلك كلّه ـ إلّا عليّاً عليه السلام ، وإذا كان الشيء بين القوم فقال هذا : لا أدري ؛ وقال هذا : لا أدري ! ، وقال هذا : لا أدري ! ، وقال هذا : أنا أدري . . فأشهد أنّ عليّاً عليه السلام كان قيّم القرآن ، وكانت طاعته مفترضة ، وكان الحجّة على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنّ ما قال في القرآن فهو حقّ . .

فقال [عليه السلام] : « **رحمك الله !** »[1] .

فهذا الحديث الشريف ـ الذي هو أشعّة من الشمس المشرقة من علم جعفر بن محمّد عليهما السلام التي أشرقت على فكر منصور بن حازم وعقله وإنارته . . وهو يُعدّ من الفقهاء الأعلام الذين يؤخذ منهم الحلال والحرام والفتوىٰ . . والذي عبّر عنه النجاشي في رجاله : ثقة ، عين صدوق ، كما وأنّه يُعدّ من أجلّة أصحابنا وفقهائهم . .[2] يشتمل علىٰ دقائق

---

(١) أُصول الكافي ١/١٦٨ ـ ١٦٩ كتاب الحجّة ، باب الاضطرار إلى الحجّة ، حديث ٢ .

(٢) رجال النجاشي : ٤١٣ برقم (١١٠١) [طبعة جماعة المدرسين ، وفي طبعة بيروت ٢/٣٥٢ ـ ٣٥٣ برقم (١١٠٢)] .

يستفاد بعضها من كلامه هذا .

قال منصور : (إنّ الله أجلّ وأكرم من أن يعرف بخلقه . .) .

وهذه الجملة تدلّ علىٰ كمال معرفته ؛ إذ إنّ الموجودات ما هي إلّا آيات علم الله وقدرته وحكمته لا أنـّها معرّفات لله سبحانه ، ولا يمكن لما هو فقير بالذات أن يكون معرفاً لما هو الغنيّ بالذات ، كما لا يمكن للنقص المحض أن يكون معرّفاً للكمال المحض . . إذ كيف يمكن للمحدود أن يكون معرّفاً للامحدود .

وهذه هي المعرفة التي تتجلّىٰ من كلام مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال : « **يا من دلّ علىٰ ذاته بذاته** »[1] . ويظهر ذلك ـ أيضاً ـ من مناجات علي بن الحسين عليهما السلام إذ يقول : « **بك عرفتك ، وأنت دللتني عليك . .** »[2] .

قال : (إنّ لذلك الربّ رضاً وسخطاً . .) .

أشار بذلك إلىٰ أنّ الإنسان موجود عاقل ومختار ، يلزمه أن يميّز الحقّ من الباطل ، والجيّد من الرديء . . ثم يعمل به ،

---

(١) بحار الأنوار ٨٤/٣٣٩ حديث ١٩ من دعاء أمير المؤمنين عليه السلام بعد ركعتي الفجر .

(٢) بحار الأنوار ٩٥/٨٢ برقم ٢ ، عن الإقبال : ٦٧ ، من دعاء أبي حمزة الثمالي .

وأن يؤدي كلّ ما أراد الله سبحانه منه ، وأن يحذر ويجتنب كلّ ما نهىٰ الله منه . . إذ لا يمكن طي طريق سعادة الدارين إلّا بنور الوحي وهدايته ، لا بالنظر بعقله الناقص ، وفكره المخطئ .

وبقوله : (فحين مضى رسول الله صلّى الله عليه وآله من كان الحجّة علىٰ خلقه ؟ !) ، أبطل القولة المعروفة : حسبنا كتاب الله[1] . . إذ إنّ القرآن بدون المفسّر الإلهي كالطبّ

---

(١) إشارة إلىٰ الجملة المتسالم على نقلها عن عمر بن الخطاب في الردّ على رسول الله ﷺ حيث قال : حسبنا كتاب الله !!

وهذا ما نقل مستفيضاً في مجاميع العامّة وأخرجه الشيخان في كتابيهما ، وجاء في كتب الخاصّة بطرق متعدّدة من أنّه قال رسول الله ﷺ حين وفاته : « ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً . . » ، واللفظ لأحمد .

أو روي أنّه قال ﷺ : « ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعدي » ، فقال عمر كلمة معناها : إنّ الوجع قد غلب على رسول الله .. ثم قال : عندنا القرآن ، حسبنا كتاب الله . .

أو قال عمر ـ ردّاً على رسول الله ﷺ ـ : قد غلبه الوجع ، عندكم القرآن . . حسبنا كتاب الله . . أو : إنّه هجر ، أو إنّه ليهجر . . !!

انظر : صحيح البخاري ٤٩٠/٢ حديث ١٢٢٩ كتاب الجهاد والسير باب جوائز الوفد ، و ٢٢٥/٤ ـ ٢٢٦ حديث ٥٧٤ (كتاب المرضى باب قول المريض : قوموا عني . .) [وفي طبعة ٩/٧] ، وكذا فيه صفحة : ٧٧٤ حديث ٢١٦٩ (كتاب الاعتصام ـ باب كراهية الخلاف) ، وصحيح مسلم ٧٦/٥ [وفي طبعة ٤٥٥/٣ حديث ١٥ و ٢١ و ٢٢ كتاب الوصية ـ باب

←

بدون طبيب ، ومع قطع النظر عن الأدلّة النقليّة ، فإنّ العقل السليم يحكم بالملازمة بين وجود القرآن الكريم والإمام المعصوم . . ونكتفي في هذه الوجيزة بالتعرّض لوجوه ثلاثة :

١ ـ لو أسس مخترع مَصنعاً ، وكان محصول المعمل أغلىٰ جوهرة ، وكان غرضه من ذلك الاختراع هو إدامة ذلك المحصول وإبقاؤه . . فيلزمه ـ والحال هذه ـ عدم تعطيل أو توقف العمل في حال حضور المخترع أو غيابه ، وحياته أو موته . . ولا شك أنّ دقّة وظرافة لتحصيل ذلك المحصول وتأسيس أجزاء ذلك المعمل ، وكيفيّة العمل . . لا يتيسّر الاطلاع عليها أو يتأتى العلم بها إلّا بإرشاد المخترع نفسه .

فهل يعقل أو يصدّق أنّ ذلك المخترع لا يعيّن من هو عارفاً بخصوصيات وسائل ذلك المعمل وكيفيّة تشغيله وأسراره ورموزه . . ؟ !

وهل يعقل أن يوكل هندسة المعمل إلىٰ انتخاب الناس الذين هم جاهلون عن وسائل العمل وكيفيّة إعمال آلاته ودقة وسائله ؟ !

← الوقف]، ومسند أحمد بن حنبل ٣٢٤/٣ [٢٢٢/١، و ٣٢٤ ـ ٣٢٥ و ٣٣٦ و ٣٥٥].. ومصادر كثيرة أُخرىٰ صحيحة ومعتبرة عندهم.

انظر : مقدّمة في أُصول الدين لسماحة آية الله العظمىٰ الشيخ الوحيد الخراساني دام ظله العالي.

وهل يا ترىٰ أنّ الدقّة والظرافة التي في المعارف والسنن والقوانين الإلهيّة المرتبطة بجميع شؤون الحياة البشريّة التي تعدّ وسائل معمل دين الله سبحانه وحصيلته وإنتاجه.. والتي هي أثمن وأغلىٰ جوهرة في الوجود ـ أعني الكمال الإنساني في معرفة الله وعبادته، وتعديل شهوة الفرد بالعفّة، وغضبه بالشجاعة، وفكره بالحكمة.. وإيجاد المدينة الفاضلة علىٰ أساس القسط والعدل ـ أقلّ من الدقّة والظرافة التي أُخذت في اختراع ذلك المخترع..؟!

فالكتاب الذي عرّفه لنا الباري جلّ وعزّ بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً..﴾[1].

و ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ..﴾[2].

و ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُوا فِيهِ..﴾[3].

يفتقر إلىٰ مبيّن له كي يستخرج من هذا الكتاب ما فيه من تبيان، ويلزم أن يكون محيطاً بالظلمات الفكريّة والأخلاقيّة

---

(١) سورة النحل (١٦): ٨٩.

(٢) سورة إبراهيم عليه السلام (١٤): ١.

(٣) سورة النحل (١٦): ٦٤.

والعمل البشري والمرشد إلىٰ عالم النور ، ومبيّن الحقّ عن الباطل في كلّ ما هو مورد اختلاف النوع الإنساني . . إذ إنّ حدّ ذلك الاختلاف يُعدّ من أعمق مسائل الوجود في المبدأ والمعاد بحيث أخذ مأخذاً من فكر نوابغ العقلاء وأشغل أفكارهم ، حتى مثل اختلاف المرآتين على الولد الرضيع حيث كلّ منها تدّعي أُمومته . .

فهل يمكن ـ يا ترىٰ ـ أن يقبل أو يعقل أنّ أعمال ما في الكتاب لهداية العامّة وتربية البشر وحلّ مشكلاتهم ورفع اختلافاتهم ينتهي ويتمّ برحيل رسول الله صلى الله عليه وآله . . ؟ !

وهل يصحّ أن يقال : إنّ الله سبحانه وتعالىٰ ونبيه الخاتم تركوا هذه القوانين التعليمية والتربوية بدون مفسّر لها ومعلم ومربٍّ له ؟ ! وأوكلوا في تعيين المفسّر والمعلّم والمربّي إلىٰ انتخاب الأمّة المحرومة من العلوم والمعارف والقوانين وأحكام هذا الكتاب ؟

٢ ـ إنّ إمامة الأُمّة وقيادة الإنسان بمعنىٰ قيادة وإرشاد العقل الإنساني ؛ إذ إنّ موضوع بحث الإمامة هو من يكون إماماً للإنسان ، ومن البين أنّ إنسانيّة الإنسان بعقله وفكره « **دعامّة الإنسان العقل** »[١] .

---

(١) بحار الأنوار ١/٩٠ كتاب العقل والجهل حديث ١٧ عن علل الشرائع .

وتفتقر القوىٰ والأعضاء الجسديّة في نظام الخلقة إلىٰ مرشد من الحواس والأعصاب للتحريك تبعاً إلىٰ الأعصاب الحسيّة ، والمرشد للحواس ـ عند الخطأ والصواب ـ هو العقل البشري ، وذاك أيضاً يحتاج إلىٰ إرشاد العقل الكامل في مدركاته المحدودة والمتأثّر بالخطأ والهوىٰ ، وهو المحيط بالمرض والدواء وعوامل النقص والكمال في الإنسان وهو مصون من الخطأ والهوىٰ كي يتحقّق هداية العقل البشري بإمامته . . ولا طريق لمعرفة مثل هذا العقل الكامل إلّا بواسطة خالقه وباريه .

ومن هنا لا ينفك تصوّر حقيقة الإمامة من التصديق بلزوم كون الإمام منصوباً من قبل الله سبحانه وتعالىٰ . .

٣ـ لمّا كان مقام الإمامة مقام حفظ وتفسير وإجراء القوانين الإلهيّة . . وبنفس الدليل الملزم بعصمة مبلّغ القانون الإلهي ؛ لزم به عصمة الحافظ والمفسّر والمجري لذلك القانون . . وكما أنّ الخطأ والأهواء في المبلّغ تبطل الغرض المتوخّىٰ من بعثته ـ أعني الهداية ـ فإنّ الخطأ والتأثّر بالهوىٰ في المفسّر ومجري القانون توجب الإضلال والانحراف . . ولا يتيسّر معرفة المعصوم بدون إرشاد الباري سبحانه وتعالى .

وهذه الحقيقة في لزوم وجود قيّم مع القرآن يكون عالماً بظواهر الكتاب وبواطنه، ومحكمه ومتشابهه.. والكتاب الذي أُنزل ليكون هادياً للبشريّة ـ مع اختلاف مراتب الأفراد الإنسانيّة ـ ليأخذ بهم إلىٰ السعادة الدنيويّة والأُخرويّة، ويحييهم بالحياة العلميّة والإيمانية.. لا يمكن أن يكون بدون مفسّر معصوم من الخطأ والهوس والهوىٰ.. وهذا ليس فقط يتنافي مع منطق العقل والحكمة في نزول القرآن، بل هو يصطدم مع الحديث المتّفق عليه بين أعيان علماء العامّة والخاصّة في أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**إنّي تاركٌ فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتى**»[1]، وقال: «.. **وإنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**»[2].

ورووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**أيها الناس! إني تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتبعتموهما، وهما: كتاب الله وأهل بيتي عترتي..**»[3].

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣/١٤٨، ولاحظ أيضاً: إكمال الدين وإتمام النعمة: ٢٣٤ [وفي طبعة: ٢١٤].

(٢) ولاحظ: المستدرك علي الصحيحين ٣/٥٣٣.

(٣) المستدرك علي الصحيحين ٣/١١٠، ولاحظ: إكمال الدين وإتمام النعمة: ٢٣٥ [وفي طبعة: ٢١٤ ـ ٢١٥].

وعليه ؛ فهذه الحقيقة التي صرّح بها منصور بن حازم وصدّقها الإمام السادس عليه السلام ثابتة بحكم العقل والكتاب والسنّة . .

ويشهد التاريخ الثابت عند العامّة والخاصّة أن ليس هناك في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من هو عالم بتمام كتاب الله سبحانه سوى مولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

ويقول منزل الكتاب الكريم : ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ** ﴾[1] .

وهو القائل سبحانه : ﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ** ﴾[2] .

وقال عزّ اسمه : ﴿ **قُلْ كَفَى بِٱللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ** ﴾[3] .

وقد عرّف رسول الله صلى الله عليه وآله للأمّة الشخص الذي عنده علم الكتاب ، فقال : « **علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يتفرقا حتّىٰ يردا عليّ الحوض** »[4] .

---

(١) سورة النحل (١٦) : ٨٩.

(٢) سورة الأنعام (٦) : ٣٨.

(٣) سورة الرعد (١٣) : ٤٣.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣/١٢٤ ، وجاء في تلخيصه أيضاً ، وله مصادر جمّة أُخرىٰ . وانظر : الاحتجاج للطبرسي ١/٢١٦ و ٢٩٧.

نماذج من كلماته عليه السلام في مكارم الأخلاق

قال الإمام الصادق أبو عبد الله جعفر بن محمّد صلوات الله عليهما ـ في الحديث الصحيح ـ: «**إنّا لنحبّ من شيعتنا من كان عاقلاً، فهماً، فقيهاً، حليماً، مدارياً، صبوراً، صدوقاً، وفيّاً**».

ثمّ قال: «**إنّ الله تبارك وتعالىٰ خصّ الأنبياء عليهم السلام بمكارم الأخلاق، فمن كانت فيه فليحمد الله علىٰ ذلك، ومن لم تكن فيه فليتضرّع إلى الله وليسأله [إيّاه]**[1]».

قال: قلت: جعلت فداك! وما هي؟

قال: «**الورع، والقنوع**[2]**، والصبر، والشكر، والحلم، والحياء، والسخاء، والشجاعة، والغيرة، والبرّ، وصدق الحديث، وأداء الأمانة**»[3].

وقد تعرّض في هذا الحديث إلىٰ أُصول مكارم الأخلاق

---

(١) ما بين المعكوفين مزيد من الكافي.

(٢) في الكافي والتمحيص: القناعة، والقنوع هو السؤال والتذلل.

(٣) بحار الأنوار ٦٩/٣٩٧ حديث ٨٦، عن أمالي الشيخ المفيد رحمه الله: ١٩٢ـ١٩٣ حديث ٢٢ [وفي طبعة: ١٢١]، وكذا روي في التمحيص: ٦٨ حديث ١٦٢ باختلاف يسير، ومشكاة الأنوار: ٤١٩، وعنه في مستدرك الوسائل ١١/١٨٧ عن الأمالي، و ١٨٩ ـ ١٩٠ حديث ١١.

وفروعها ؛ إذ إنّ نتيجة بعثة النبي الخاتم ﷺ ـ التي هي حصيلة بعثة جميع رسل الله ـ إنّما هي الأخلاق الكريمة : «**إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»[١] .

ففي هذا الحديث الشريف جعل العقل مقدماً علىٰ جميع الكمالات ؛ إذ إنّ قوام إنسانية الإنسان بعقله .

فالعقل هو الذي يدرك آيات الله سبحانه في خلقتها وتشريعها . . ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[٢] .

فيُتأمّل ببصيرة العقل الإنساني المنوّر بنور العلم أسرار العالم الطبيعي من تركيب الذرّة من إيجاب وسلب ، وجاذبة ودافعة ملايين الكرات المعلّقة في الفضاء ، وكيفيّة تحليل الجمادات وتركيبها والنباتات والحيوانات . . ثم ينفذ من ظواهر الخلقة إلىٰ لبّها وجواهرها ، ومن عالم الوجود إلىٰ عالم الملكوت ، ومن الشهود في آيات العلم والقدرة والحكمة يصل إلىٰ الإيمان بالغيب المطلق . .

ومقتضى العدل هو تقديم الأفضل حيث قال رسول الله ﷺ : «**ما قسّم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل ؛ فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل ، وإقامة العاقل أفضل من شخوص**

---

(١) بحار الأنوار ١٦/٢١٠ ، عن مجمع البيان ١٠/٣٣٤ .

(٢) سورة الرعد (١٣) : ٤ ، سورة النحل (١٦) : ١٢ ، وسورة الروم (٣٠) : ٢٤ .

الجاهل .. ولا بعث الله نبيّاً ولا رسولاً حتّىٰ يستكمل العقل ، ويكون عقله أفضل من [جميع عقول] أُمّته .. وما يضمر النبي صلى الله عليه وآله في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين ، وما أدّىٰ العبد فرائض الله حتّىٰ عقل عنه ، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل ، والعقلاء هم أُولوا الألباب ، الذين قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَابِ ﴾[1] »[2] .

وحيث كان العقل جوهر الإنسانيّة ، فكما أنّ قيمة القشر بما فيه ، وقيمته واعتباره مرتبطة بما في جوفه .. لذا جعل الإمام عليه السلام أوّل ميزان محبته لشيعته هو العقل ، ولا ريب أنّ كمال العقل بالفهم والفقه ..

قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام ـ في حديث طويل ـ :

« .. إنّ أوّل الأُمور ومبدأها وقوّتها وعمارتها التي لا ينتفع شيء إلّا به .. العقل الذي جعله الله زينة لخلقه ، ونوراً لهم ، فبالعقل عرف العباد خالقهم ، وأنّهم مخلوقون ، وأنّه المدبّر لهم ، وأنّهم المدبّرون ، وأنّه الباقي وهم الفانون ؛ واستدلّوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه من سمائه وأرضه ،

---

(١) سورة البقرة (٢) : ٢٦٩ .

(٢) أُصول الكافي ١٣/١ كتاب العقل والجهل حديث ١١ .

وشمسه وقمره، وليله ونهاره، وبأنّ له ولهم خالقاً ومدبّراً لم يزل ولا يزول، وعرفوا به الحسن من القبيح، وأنّ الظلمة في الجهل، وأنّ النور في العلم.. فهذا ما دلّ عليه العقل».

قيل له: فهل يكتفي العباد بالعقل دون غيره؟

قال: «**إنّ العاقل ـ لدلالة عقله الذي جعله الله قوامه وزينته وهدايته ـ علم أنّ الله هو الحقّ، وأنّه هو ربّه، وعلم أنّ لخالقه محبّة وأنّ له كراهته[1]، وأنّ له طاعة، وأنّ له معصية.. فلم يجد عقله يدلّه علىٰ ذلك وعلم أنّه لا يوصل إليه إلّا بالعلم وطلبه، وأنّه لا ينتفع بعقله إن لم يصب ذلك بعلمه، فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذي لا قوام له إلّا به..**»[2].

ومن هنا عدّ طريق الوصول إلى كمال العقل هو الفهم والفقه، فقال عليه السلام لحمران وصفوان بن مهران الجمّال ـ إذ روي عنهما أنّهما ـ قالا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**لا غناء أخصب من العقل، ولا فقر أحطّ من الحمق،**

---

(١) في مرآة العقول: كراهية.

(٢) أُصول الكافي ٢٨/١ ـ ٢٩ كتاب العقل والجهل، وأورده العلّامة المجلسي رحمه الله في مرآة العقول: ٥٠ [الطبعة المحققة ٩٦/١].

ولا استظهار في أمر بأكثر من المشورة فيه »[١] .

وبعد أن حثّ وحرّض عليه السلام بإكمال العقل بالفهم والفقه . . بيّن أُصول مكارم الأخلاق في اثني عشر أمراً هي :

أولاً: الورع

١ ـ روي في الحديث الموثّق ، عن عمرو بن سعيد بن هلال الثقفي ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، أنّه قال : قلت له : إنّي لا ألقاك إلّا في السنين ، فأخبرني بشيء آخذ به .

فقال : « **أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد ، واعلم أنّه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه** »[٢] .

٢ ـ وفي حديث آخر عنه عليه السلام أنّه قال : « **فيما ناجى الله عزّ وجلّ به موسىٰ عليه السلام : يا موسىٰ ! ما تقرّب إليّ المتقرّبون بمثل الورع عن محارمي ، فإنّي أبيحهم جنّات عدن لا أُشرك معهم أحداً . .** »[٣] .

٣ ـ وقال عليه السلام : « **اتّقوا الله ، اتّقوا الله ، اتّقوا الله . . عليكم**

---

(١) أُصول الكافي ٢٩/١ حديث (ب) ذيل الحديث السابق [الطبعة المحققة من مرآة العقول ٩٧/١].

(٢) أُصول الكافي ٧٦/٢ باب الورع حديث ١.

(٣) أُصول الكافي ٨٠/٢ باب اجتناب المحارم حديث ٣.

بالورع، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وعفّة البطن والفرج.. تكونوا معنا بالرفيق الأعلىٰ..»[١].

٤ ـ وقال عليه‌السلام: «**ليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم من خلق الله أورع منه**»[٢].

ثانياً: القناعة

١ ـ روي عنه عليه‌السلام أنّه قال: «**.. ومن قنع بالمقسوم استراح من الهمّ والكرب والتعب.. وكلّما أُنقص من القناعة زاد في الرغبة، والطمع في الدنيا أصل كلّ شرّ..**»[٣].

فالقناعة هي التي توجب غنى النفس وعزّتها وحريّتها..

٢ ـ وقال الإمام السادس جعفر بن محمّد عليهما‌السلام: «**أرسل عثمان إلىٰ أبي ذر موليين له ومعهما مائتي دينار، فقال لهما: انطلقا بها إلىٰ أبي ذر فقولا له: عثمان يقرأك السلام، وهو يقول لك: هذه مائتي دينار؛ فاستعن بها علىٰ ما نابك.**

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي رحمه‌الله: ٢٢٢ ذيل حديث ٣٨٤ [طبعة النجف الأشرف ١/٢٢٦].

(٢) أُصول الكافي ٢/٧٩ حديث ١٤، وعنه في بحار الأنوار ٧٠/٣٠٣ باب ٥٧ الورع واجتناب الشبهات، ذيل حديث ١٤.

(٣) مصباح الشريعة ـ الباب الثامن والتسعون في القناعة ـ: ٢٠٢.

فقال أبو ذر: فهل أعطى أحداً من المسلمين مثل ما أعطاني؟!

فقالا: لا.

قال: فأنا رجل من المسلمين يسعني ما يسع المسلمين.

فقالا له: إنّه يقول: هذا من صلب مالي، وبالله الذي لا إله إلّا هو ما أُخالطها حراماً، ولا بعثت بها إليك إلّا من حلال..!

فقال: لا حاجة لي فيها وقد أصبحت يومي هذا وأنا أغنى الناس.

فقالا له: عافاك الله وأصلحك ما نرىٰ في بيتك قليلاً ولا كثيراً ممّا تستمتع به.

فقال: بلى! تحت هذا الإكاف الذي ترون رغيفاً شعيراً قد أُتي عليها أيّام فما أصنع بهذه الدنانير؟! ـ لا والله ـ حتّىٰ يعلم الله، وأنّي لا أقدر على قليل ولا كثير، ولقد أصبحت غنيّاً بولاية علي بن أبي طالب وعترته الهادين المهديّين الراضين المرضيّين الذين يهدون بالحقّ وبه يعدلون..»[١].

فالقناعة هي التي أعطت أبي ذر عزّ النفس الذي زيّن بها صفحات التاريخ بنهضته المقدسة لإقامة القسط والعدل..

---

(١) روضة الواعظين ٢/٢٨٤ ـ ٢٨٥ (طبعة الحيدريّة ـ النجف الأشرف).

٣ـ وفي حديث : إنّ الغلامين قالا : يا أبا ذر ! اقبل هدية الخليفة ، إذ هو أوعدنا بعتقنا إن قبلتها ، فقال أبو ذر : لو قبلتها لأصبحتما أحراراً إلّا أنّي أصبح عبداً له . . وستكون حرّيتكما بعبوديتي ! [١]

ثالثاً: الصبر

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : « **الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد . .** »[٢] .

٢ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : « **قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : سيأتي على الناس زمان لا ينال الملك فيه إلّا بالقتل والتجبّر ، ولا الغنىٰ إلّا بالغصب والبخل ، ولا المحبّة إلّا باستخراج الدين واتّباع الهوىٰ . . فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنىٰ ، وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبّة ، وصبر على الذلّ وهو يقدر على العزّ . . آتاه الله ثواب خمسين صدّيقاً ممّن صدّق بي** »[٣] .

---

(١) سفينة البحار في مادة ذرر، في أحوال أبي ذر من الكشكول للبهائي ١ / ٢٠٨.

(٢) أُصول الكافي ٢/٨٧ باب الصبر حديث ١.

(٣) أُصول الكافي ٢/٩١ باب الصبر حديث ١٢.

٣ـوفي الحديث الصحيح عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنـه قال : « **قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : قال الله عزّ وجلّ : إنّي جعلت الدنيا بين عبادي قرضاً ؛ فمن أقرضني منها قرضاً أعطيته بكلّ واحدة عشرة إلىٰ سبعمائة ضعف وما شئت من ذلك ؛ ومن لم يقرضني منها قرضاً فأخذت منه شيئاً قسراً فصبر ، أعطيته ثلاث خصال لو أعطيت واحدة منهنّ ملائكتي لرضوا بها منّي** . . » .

قال : ثمّ تلا أبو عبد الله عليه السلام قول الله عزّ وجلّ : « ﴿ **ٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ** ﴾ فهذه واحدة من ثلاث خصال : ﴿ **وَرَحْمَةٌ** ﴾ اثنتان : ﴿ **وَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ** ﴾[1] ثلاث » .

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام : « **هذا لمن أخذ الله منه شيئاً قسراً** . . »[2] .

ولا يتصوّر عناية ولطف أكثر من هذا من أنّ الغني على الإطلاق ينعم ويمنّ ـ وبدون استحقاق ـ على عبده المشبع بالقصور والتقصير . . ويعامل الفقير بالذات الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً . . وكلّ ما هناك من حدوث وبقاء من

---

(١) سورة البقرة (٢) : ١٥٦ ـ ١٥٧ .

(٢) أُصول الكافي ٢/٩٢ ـ ٩٣ باب الصبر حديث ٢١ .

إفاضاته ويتعامل معه معاملة الندّ لندّه، وكأنّه يستقرض ما له منه بعنوان الدين - مع أنّ القرض معناه أن يملّك المالك ماله لغيره ويكون الغير ضامناً لمثله أو قيمته -...

فالله سبحانه الكريم الرحيم يقترض ما هو ملكه من مملوكه فيقول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾[١] ويضمن له تضعيفه إلى سبعمائة ضعف ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾[٢] ولو سلبته حوادث الأيام ما منحه ربّ الأرباب وصبر على ذلك أعطاه الله سبحانه مقابل صبره ثلاثة منح؛ هي:

أوّلاً: أن يصلي عليه الذات القدسية ومبدأ الكون الذي صلّى على أوّل شخص في عالم الوجود؛ لصبره واحتسابه على تلك المصيبة ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ﴾[٣].

ثانياً: أن ينزّل عليه رحمته؛ إذ رحمته تعلوا كل ما يدّخره العالمون ﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة (٢): ٢٤٥.

(٢) سورة البقرة (٢): ٢٦١.

(٣) سورة البقرة (٢): ١٥٧.

(٤) سورة الزخرف (٤٣): ٣٢.

ثالثاً: أن يكلّله بتاج الهداية ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[1] التي هي منتهى أمل الخلّص من عباد الرحمن ﴿وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْحَمِيدِ﴾[2].

الرابع: الشكر

١ ـ روي عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: « **يا معاوية! من أُعطي ثلاثاً لم يحرم ثلاثة؛ من أُعطي الدعاء أُعطي الإجابة، ومن أُعطي الشكر أُعطي الزيادة، ومن أُعطي التوكّل أُعطي الكفاية؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[3] ويقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[4] ويقول: ﴿ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[5]** »[6].

إذ إنّ من يختار وكيلاً لنفسه يوكّله لعمل لابدّ وأن يكون ذا بصيرة وقدرة وأمانة، والتوكّل على الله سبحانه ما هو إلّا إيكال الأمر إلى العلم والقدرة اللا محدودة، والرحمة

---

(١) سورة البقرة (٢): ١٥٧.

(٢) سورة الحج (٢٢): ٢٤.

(٣) سورة الطلاق (٦٥): ٣.

(٤) سورة إبراهيم عليه السلام (١٤): ٧.

(٥) سورة المؤمن (غافر) (٤٠): ٦٠.

(٦) الخصال ١٠١/١ حديث ٥٦ من أُعطي ثلاثة لم يحرم ثلاثة.

واللطف اللامتناهي . . ومن كان الله وكيله اكتفىٰ واستغنىٰ بعلم الباري عزّ اسمه وقدرته وعنايته ، وشكر النعمة وتقديرها إنّما هو بشكر منعمها ، وأن يصرفها ويستعملها فيما عيّنه المنعم له . . وليس جزاؤه في ذلك إلّا زيادة النعمة عليه . .

والدعاء ؛ ما هو إلّا قطع الأمل من الخلق والاستمداد من الخالق . . وحيث صدر من قلب سليم ولسان صدق . . كان ملازماً للإجابة ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ** ﴾[1] .

٢ ـ روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : « **فيما أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام : يا موسىٰ ! اشكرني حقّ شكري ، فقال : يا ربّ ! وكيف أشكر حقّ شكرك وليس من شكر أشكرك به إلّا وأنت أنعمت به عليّ ؟ ! قال : يا موسى ! الآن شكرتني حين علمت أنّ ذلك منّي . .** »[2] .

فشكره سبحانه نعمة تحققت بما أنعم الله عليه من العقل والإدراك والحياة والحول والقوة ، واللسان الذي أنطقه وهو بنفسه يوجب ازدياد نعمه عليه . . فالنعمة التي مبدأها ومنتهاها نعمة . . تستوجب الشكر عليها إلىٰ ما لا نهاية . .

---

(١) سورة الفاطر (٣٥): ١٠.

(٢) أُصول الكافي ٩٨/٢ باب الشكر حديث ٢٧.

فإدراك هذه الدقيقة ؛ من أنّ العجز عن الشكر حقّ الشكر . . نظير أنّ حقّ المعرفة بالله سبحانه أن يدرك أنّه عاجز عن معرفته . .

الخامس: الحلم

إنّ الحلم هو الاعتدال في القوىٰ الغضبية ، وإمكان الوقوف أمام طغيان الانفعال والغضب .

١ ـ روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : « **ثلاث خصال من كنّ فيه استكمل خصال الإيمان : من صبر على الظلم ، وكظم غيظه واحتسب ، وعفى وغفر . . كان ممّن يدخله الله الجنّة بغير حساب ، ويشفّعه في مثل ربيعة ومضر . .** »[١] .

٢ ـ قال المنصور الدوانيقي للإمام الصادق عليه السلام : قد صفحت عنك لقدرك ، وتجاوزت عنك لصدقك . . ! فحدّثني عن نفسك بحديث أتعظ به ويكون لي زاجر صدق عن الموبقات !

فقال الصادق عليه السلام : « **عليك بالحلم ؛ فإنّه ركن العلم ، وأملك نفسك عند أسباب القدرة ؛ فإنّك إن تفعل ما تقدر**

(١) الخصال ١/١٠٤.

عليه كنت كمن شفى غيظاً، أو تداوى حقداً، أو يحبّ أن يذكر بالصولة..

واعلم! بأنّك إن عاقبت مستحقّاً لم تكن غاية ما توصف به إلّا العدل، ولا أعرف حالاً أفضل من حال العدل، والحال التي توجب الشكر أفضل من الحال التي توجب الصبر »[١] .

فقد علّمه أن لو كانت المجازاة والمؤاخذة على الذنب بالحقّ فهي العدل.. إلّا أنّ الحلم والعفو والكرم.. يعدّ من نهاية الفضل، والفضل [أولى] من العدل..

السادس: الحياء

وهو الاجتناب من كلّ فعل قبيح أو مشين والخجل من التلبّس به.

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: « **قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أربع من كنّ فيه.. وكان من قرنه إلىٰ قدمه ذنوباً بدّلها الله حسنات: الصدق، والحياء، وحسن الخلق، والشكر** »[٢] .

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق رحمه الله: ٧١١ المجلس التاسع والثمانون ذيل حديث ٩٧٨ [الطبعة المترجمة: ٦١٣].

(٢) أُصول الكافي ١٠٧/٢ باب الحياء حديث ٧.

السابع: السخاء

١ ـ عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، أنّه قال: «**قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: السخيّ قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنّة.. والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، قريب من النار**»[1].

٢ ـ روي عنه عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، أنّه قال: «**قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: السخاء شجرة في الجنّة؛ أغصانها في الدنيا، من تعلّق بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى الجنّة، والبخل شجرة في النار؛ أغصانها في الدنيا، من تعلّق بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى النار**»[2].

٣ ـ وروي عن الإمام الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام أنّه قال: «**إنّ الله تبارك وتعالىٰ رضي لكم الإسلام ديناً؛ فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق**»[3].

---

(١) بحار الأنوار ٣٠٨/٧٣ باب ١٣٦ حديث ٣٧، عن الإمامة والتبصرة:

(٢) قرب الإسناد: ١١٧ حديث ٤٠٩، وجاء في مصادر جمة كالكافي ٤١/٤ حديث ٩، ومعاني الأخبار: ٢٥٦ حديث ٤.. وغيرهما.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق رحمه الله: ٣٤٤ حديث ٤١١.

٤ ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**أتىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وفد من اليمن وفيهم رجل كان أعظمهم كلاماً، وأشدّهم استقصاء في محاجّة النبي صلّى الله عليه وآله، فغضب النبي صلّى الله عليه وآله حتّىٰ التوى عرق الغضب بين عينيه، وتربّد وجهه، وأطرق إلى الأرض، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال: ربّك يقرئك السلام، ويقول لك: هذا رجل سخي يطعم الطعام..**

فسكن عن النبي صلّى الله عليه وآله الغضب، ورفع رأسه، وقال له: لولا أنّ جبرئيل أخبرني عن الله عزّ وجلّ أنّك سخيّ تطعم الطعام لشرّدت بك، وجعلتك حديثاً لمن خلفك..

فقال له الرجل: وإنّ ربّك ليحب السخاء؟!

فقال: نعم.

فقال: إنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله، والذي بعثك بالحقّ لا رددت من مالي أحداً..»[1].

فسخاوته أبدلت أكبر سيّئة له ـ وهي المهانة لرسول الله صلى الله عليه وآله ـ إلىٰ خير الحسنات التي هي رضا الله ورسوله، وأخرجته من

---

(١) الكافي ٣٩/٤ ـ ٤٠ باب معرفة الجود والسخاء حديث ٥.

الكفر والشرك .. ورفعته على أريكة الإسلام والإيمان .

ومع أنّ السامري أضلّ قوم موسىٰ وحملهم على عبادة العجل ، وحارب الله ورسوله .. فعندما همّ موسىٰ بن عمران عليه السلام على قتل السامري أوحى الله سبحانه وتعالىٰ إليه : **« لا تقتله يا موسىٰ ! فإنّه سخي »**[1] .

الثامن: الشجاعة

وهي من صفات المؤمن .. تكون باعتدال القوّة الغضبيّة للإنسان بين التهوّر ؛ وهو الإفراط في الجرأة التي تلقي الإنسان في التهلكة ، وبين التفريط في الجبن التي تجرّه إلى الذلّة والمسكنة ..

١ ـ روي عن أبي عبد الله ، عن أبيه عليهما السلام أنّه قال : **« لا يؤمن رجل فيه الشحّ ، والحسد ، والجبن ، ولا يكون المؤمن جباناً ، ولا حريصاً ، ولا شحيحاً »**[2] .

فشجاعة أميرالمؤمنين عليه السلام هي التي أوصلته إلىٰ الرجولة والفتوّة ؛ حتى أنّه روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال :

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي ٢/ ٦٣.

(٢) الخصال ١/ ٨٢ ـ ٨٣ باب ثلاث خصال لا تكون في المؤمن ، حديث ٨.

«..فنظر رسول الله صلّى الله عليه وآله إلىٰ جبرئيل عليه السلام على كرسي بين السماء والأرض، وهو يقول: لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتىٰ إلّا علي»[١].

وكمال الشجاعة غلبة العقل علىٰ هوىٰ النفس؛ كما رواه الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله -في حديث- قال: «.. **وأشجع الناس من غلب هواه..**»[٢].

التاسع: الغيرة

وهي نهاية السعي في حفظ كلّ ما يلزم حفظه بحكم العقل والشرع.

١-فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**إنّ الله تبارك وتعالىٰ غيور يحبّ كلّ غيور، ولغيرته حرّم الفواحش ظاهرها وباطنها**»[٣].

---

(١) كما في الروضة من الكافي ١١٠/٨ حديث ٩٠، وفيه: فقال أبو عبد الله عليه السلام: «فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جبرئيل عليه السلام على كرسي من ذهب بين السماء والأرض، وهو يقول: «لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي..».

ولاحظ: تاريخ مدينة دمشق ٢٠١/٣٩.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق رحمه الله المجلس السادس: ٧٣ [الطبعة المترجمة: ٢١ ضمن حديث: ٤]، وعنه في مستدرك الوسائل ١١١/١٢.

(٣) الكافي ٥٣٥/٥-٥٣٦ باب الغيرة حديث ١.

٢ـوقال ﷺ : «**إنّ المرأ يحتاج في منزله وعياله إلىٰ ثلاث خلال ـ ليتكلّفها وإن لم يكن من طبعه ذلك ـ : معاشرة جميلة، وسعة بتقدير، وغيرة بتحصّن**»[1].

العاشر: البرّ والإحسان للعباد

١ـقال الإمام السادس جعفر بن محمّد الصادق ﷺ :

«**أهل المعروف في الدنيا [هم] أهل المعروف في الآخرة، يقال لهم: إنّ ذنوبكم قد غفرت لكم فهبوا حسناتكم لمن شئتم، والمعروف واجبُ علىٰ كلّ أحد بقلبه ولسانه ويده، فمن لم يقدر على اصطناع المعروف بيده فبقلبه ولسانه، فمن لم يقدر عليه بلسانه فينوه بقلبه..**»[2].

فما ألزم به ﷺ أتباعه هو أن تكون قلوبهم منبع نيّة الخير، ولسانهم لهجاً بالقول الحسن، وسلوكهم معروفاً بالبرّ والإحسان.

٢ـعن أبي عبد الله، عن آبائه ﷺ أنّ أميرالمؤمنين ﷺ صاحب رجلاً ذمّياً.. فقال له الذمّي: أين تريد يا عبد الله!؟

فقال: «**أُريد الكوفة**».

---

(١) تحف العقول: ٣٢٢ [وفي طبعة الأعلمي بيروت: ٢٣٧].

(٢) الاختصاص: ٢٤٠ ـ ٢٤١، وعنه في بحار الأنوار ١١٨/١٦. وروىٰ الكليني ﷺ صدر الحديث في الكافي ٢٩/٤ حديث ٢ باختلاف يسير.

فلمّا عدل الطريق بالذّمّي عدل معه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له الذّمّي: ألست زعمت أنّك تريد الكوفة ؟!

فقال له: «**بلىٰ**».

فقال له الذّمّي: فقد تركت الطريق ؟

فقال له: «**قد علمت**».

قال: فلِمَ عدلت معي وقد علمت لك.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «**هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيّع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه؛ وكذلك أمرنا نبيّنا صلّى الله عليه وآله**».

فقال له الذّمّي: هكذا قال ؟!

قال: «**نعم**».

قال الذّمّي: لا جرم إنّما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة؛ فأنا أشهدك أنّي علىٰ دينك.. ورجع الذمّي مع أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا عرفه أسلم»[1].

فهذا هو الدين الذي كان لبابه متبلوراً في عمل الإمام المعصوم عليه السلام الذي أوجب الخروج من الظلمات إلىٰ النور، ومن الكفر إلى الإسلام.

---

(١) أُصول الكافي ٢/٦٧٠ باب حسن الصحابة وحق الصاحب في السفر، حديث ٥.

فمن كان لسانه ناطقاً بالعلم ومعرفة حقائق المبدأ والمعاد، وسياسته مع نفسه وفي أهله ومجتمعه [كذا].. فهو معجزة في أُفق الحكمة النظريّة والعمليّة.. ويد قدرته في غزواته كالخندق وخيبر أوجبت حيرة أهل الأرض وملائكة السماء.. وإمبراطورية الروم وكسروية إيران؛ كلاهما في قبضة قدرته.. فمع هذا العلم والقدرة وتلك السلطنة.. فهو يسلك طريقاً بدون مرافق من خادم ومصاحب، وفي نهاية الخضوع والعبوديّة لله سبحانه والتواضع لخلقه مصاحباً لكافر لا يعرفه ولم يعرّف نفسه له طوال الطريق..

فهذا سلوكه مع من كان أجنبيّاً عن دين الإسلام وشريعته.. وذا نموذجاً من العطوفة الإسلاميّة والرأفة والرحمة بالنسبة إلىٰ من كان بعيداً عن الإسلام..

فلو دقّق النظر وحقّق في هذه الروحية التي هي في أفعال الأئمّة المعصومين عليهم السلام وأقوالهم.. لشدّت كلّ فرد ـ حتى مثل ذلك الذمّيّ ـ بالإسلام وأئمّة الحقّ..

الحادي عشر: صدق الحديث

١ ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: « **لا تغترّوا بصلاتهم ولا بصيامهم؛ فإنّ الرجل ربّما لهج بالصلاة والصوم حتّىٰ**

لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة»[١].

٢ـوروي ـ بطريق صحيح ـعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: **«كونوا دعاةً للناس بغير ألسنتكم؛ ليروا منكم الورع والاجتهاد، والصلاة[٢] والخير؛ فإنّ ذلك داعية»[٣].**

فتظهر قيمة الصدق من كلام الله سبحانه وتعالىٰ إذ يقول: **﴿هٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[٤].**

ويقول: **﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّادِقِينَ﴾[٥].**

ويقول: **﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[٦].**

الثاني عشر: أداء الأمانة

١ ـروي عن عبد الله بن سنان أنّه قال: دخلت علىٰ أبي

---

(١) أُصول الكافي ١٠٤/٢ باب الصدق وأداء الأمانة حديث ٢، والحديث موثقاً.

(٢) كذا، والظاهر: الصلاح.

(٣) أُصول الكافي ٧٨/٢ باب الورع حديث ١٤.

(٤) سورة المائدة (٥): ١١٩.

(٥) سورة التوبة (٩): ١١٩.

(٦) سورة النحل (١٦): ١٠٥.

عبد الله عليه السلام ـ وقد صلّىٰ العصر وهو جالس مستقبل القبلة في المسجد ـ فقلت : يا ابن رسول الله ! إنّ بعض السلاطين يأمّننا علىٰ الأموال ، يستودعناها وليس يدفع إليكم خمسكم ، أفنؤديها إليه ؟ !

فقال : « **وربّ هذه القبلة** » ثلاث مرّات « **لو أنّ ابن ملجم قاتل أبي ـ فإني أطلبه بتستر**[1] **لأنّه قتل أبي ـ ائتمني علىٰ أمانة لأدّيتها إليه** »[2] .

٢ ـ وروي عن أبي أُسامة زيد الشحام ، قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : « **اقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام ، وأُوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ ، والورع في دينكم ، والاجتهاد لله ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وطول السجود ، وحسن الجوار .. فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم** .. »[3] .

٣ ـ وروي عن يحيى بن العلاء واسحاق بن عمّار جميعاً ،

---

(١) كذا ، والصحيح : بترة ، وهي بمعنى الطلب بالتار ، لاحظ : لسان العرب ٢٧٤/٥ ، وفي البحار : وهو متستر .

(٢) مشكاة الأنوار : ١٧٤ [وفي طبعة : ٥٢] ، وعنه في بحار الأنوار ١١٧/٧٥ حديث ١٨ ، ومستدرك الوسائل ١٠/١٤ .

(٣) أُصول الكافي ٦٣٦/٢ باب ما يجب من المعاشرة ، حديث ٥ .

عن أبي عبد الله عليه السلام قالا : ما ودّعنا قطّ إلّا أوصانا بخصلتين : عليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة إلىٰ البرّ والفاجر ، فإنّهما مفتاح الرزق . .[1]

وقد ورد كثيراً في كلماته عليه السلام التأكيد علىٰ أداء الأمانة إلى الخالق والخلق . . وإنّ لها مراتب عديدة تعدّ ـ بحقّ ـ مثالاً للإنسانيّة .

٤ ـ ومن ذلك ما روي عنه عليه السلام أنّه قال : « **من غسّل ميتاً مؤمناً فأدّى فيه الأمانة غفر الله له** » .

قال : وكيف يؤدّى فيه الأمانة ؟

قال : « **لا يخبر بما يرىٰ** »[2] .

فلو كان لزاماً على الغسّال ستر عيوب الميت وكونها أمانة عنده ، فوظيفة أتباعه عليه السلام واضحة بالنسبة إلىٰ حفظ ماء وجه الأحياء وحيثيّتهم ، وكيف تكون على هذا حفظ نفوسهم وأموالهم ؟ !

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي رحمه الله : ٦٧٦ حديث ١٤٢٩ [طبعة النجف الأشرف ٢/٢٨٩].

(٢) ثواب الأعمال : ١٩٥ ـ ١٩٦ ثواب من غسل مؤمناً ميتاً [طبعة مكتبة الصدوق : ٢٣٢] ومثله في أُصول الكافي ٢/١٦٤ حديث ٢.

هذا ؛ وإن كان أجمع ما في الباب الحديث الصحيح : « **لنحبّ من شيعتنا . .** » ممّا يضمن سعادة الفرد والمجتمع ، كما أنّ العمل به يبلغ الإنسان إلىٰ كماله وسعادته . .

ثم إنّا نختم هذه الرسالة ببعض الروايات الأُخر الواردة عنه ﷺ . .

* * *

نماذج أُخرىٰ من الروايات الواردة عنه ﷺ في مكارم الأخلاق

١ ـ قال الإمام السادس أبو عبد الله الصادق ﷺ : « **ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال : وقور عند الهزاهز[1] ، صبور عند البلاء ، شكور عند الرخاء ، قانع بما رزقه الله[2] ، لا يظلم الأعداء ، ولا يتحامل[3] للأصدقاء[4] ، بدنه**

---

(١) الهزاهز : الفتن التي يفتتن الناس بها ، أو التي تهزّ الناس .

والوقور ـ للمذكر والمؤنث ـ : ذو الوقار .

(٢) في الكافي ٤٧/٢ : « وقوراً » « صبوراً » « شكوراً » « قانعاً » كلها بالنصب بتقدير أن يكون كذا وكذا ، وفي الكتاب بالوضع ، بحذف المبتدأ .

(٣) في تحف العقول : ولا يتحمّل .

(٤) أي لا يتحامل على الناس ولا يجور عليهم لأجل أصدقاءه ، وطلب ←

منه في تعب، والناس منه في راحة..»[١].

٢ـ قال الإمام السادس عليه السلام: «حدّثني أبي، عن آبائه [عليهم السلام]، عن علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: من أغاث لهفاناً من المؤمنين أغاثه الله يوم لا ظلّ إلّا ظلّه، وآمنه يوم الفزع الأكبر، وآمنه من سوء المنقلب..

ومن قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له حوائج كثيرة إحداها الجنّة..

ومن كسى أخاه المؤمن من عرى كساه الله من سندس الجنّة واستبرقها وحريرها، ولم يزل يخوض في رضوان الله مادام على المكسوّ منه سلك..

ومن أطعم أخاه من جوع أطعمه الله من طيّبات الجنّة..

ومن سقاه من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم ريّة..

ومن أخدم أخاه أخدمه الله من الولدان المخلّدين وأسكنه مع أوليائه الطاهرين..

ومن حمل أخاه المؤمن على راحلة حمله الله علىٰ ناقة من نوق الجنة، وباهى به الملائكة المقرّبين يوم القيامة..

← مرضاتهم، وقيل: لا يتحمل الوزر لأجلهم؛ كما إذا كان عندك شهادة على صديقك لغيره فلا تشهد له رعاية للصداقة..

(١) الخصال ٣٠٦/٢ باب الثمانية حديث ١، ومثله في تحف العقول: ٢٦٦.

ومن زوّج أخاه المؤمن امرأة يأنس بها وتشدّ عضده ويستريح إليها زوّجه الله من الحور العين، وآنسه بمن أحبّه من الصديقين من أهل بيته وإخوانه وآنسهم به..

ومن أعان أخاه المؤمن على سلطان جائر أعانه الله علىٰ إجازة الصراط عند زلّة الأقدام..

ومن زار أخاه المؤمن إلى منزله ـ لا حاجة منه إليه ـ كتب من زوار الله، وكان حقيقاً على الله أن يكرم زائره»[1].

٣ـ وعن بعض أصحابه عليه السلام أنّه قال: دخلت عليه وموسىٰ عليه السلام بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصيّة، فكان ممّا حفظت منها أن قال: «..**يا بنيّ! من قنع بما قسم له استغنىٰ، ومن مدّ عينيه إلىٰ ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قُسم له اتّهم الله في قضائه، ومن استصغر زلّة غيره استعظم زلّة نفسه، ومن استصغر زلّة نفسه استعظم زلّة غيره..**

يا بنيّ! من كشف حجاب غيره تكشف عورات بيته، ومن سلّ سيف البغي قتل به، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط

---

(١) بحار الأنوار ١٩٢/٧٧ ضمن حديث ١١ ممّا رواه الشهيد الثاني رحمه الله في كتاب الغيبة.

فيها، ومن دخل السفهاء حقّر، ومن خالط العلماء وقّر، ومن دخل مداخل السوء اتُّهم..

يا بنيّ! إيّاك أن تزري بالرجال فيزرى بك، وإيّاك والدخول فيما لا يعنيك فتذلّ.

يا بنيّ! قل الحقّ لك وعليك تستشار من بين أقرانك.

يا بنيّ! كن لكتاب الله تالياً، وللسلام فاشياً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، ولمن قطعك واصلاً، ولمن سكت عنك مبتدءاً، ولمن سألك معطياً.

وإيّاك والنميمة؛ فإنّها تزرع الشحناء في قلوب الرجال.

وإيّاك والتعرّض لعيوب الناس؛ فمنزلة المعترض لعيوب الناس كمنزلة الهدف»[1].

ويكفي مقطع من هذه الوصيّة لإسعاد الفرد والمجتمع، فيما لو أُخذ بالحقّ ولم يتعدّاه فيما يضرّه وينفعه، إذ إنّ الخلقة والخليقة مدار الحقّ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[2] بل إنّ بعثة الأنبياء ونزول الوحي الإلهي ما كان إلّا من أجل تعليم الحقّ وإجرائه

---

(١) بحار الأنوار ٢٠٤/٧٨ حديث ٤٢.

(٢) سورة الحجرات (٤٩): ٨٥.

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾[١] .

ولا يصل أيّ إنسان إلىٰ الكمال المقصود من الخلقة إلّا بالتنزه عن الباطل والتحلّي بالحقّ في أفكاره وأخلاقه وأقواله وأعماله . . وكلّ ما يتعلّق بالفرد سواء ما كان منه بنفعه وخيره أو ما كان بضرره وشرّه . . إذ يتوخّىٰ الحقّ ويراد في كل عمليّة أخذ وعطاء ، وكلّ نفع وضرر . . ويرضي بذلك الخالق والخليقة .

وحيث كان المجتمع ما هو إلّا تركيبة من أفراده ، وطلّاب الحقيقة من أبناء المجتمع يدورون في محور الحقّ من أجل مجتمع يقوم على الحقّ وذاك في قوله : « **قل الحقّ لك وعليك** » كي يضمن للبشريّة سعادتها الماديّة والمعنويّة . . وكي تتحقّق ثمرة إرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** ﴾[٢] .

٤ ـ قال ﷺ : « **إذا بلغك عن أخيك شيء يسوؤك فلا تغتمّ به ، فإنّه إن كان كما يقول كانت عقوبة عجّلت ، وإن**

---

(١) سورة الإسراء (١٧) : ١٠٥ .

(٢) سورة الحديد (٥٧) : ٢٥ .

كانت على غير ما يقول: كانت حسنة لم تعلمها [(١)] ..»[(٢)].

٥ـ قال عليه السلام: «إنّ خير العباد من يجتمع فيه خمس خصال: إذا أحسن استبشر، وإذا أساء استغفر، وإذا أُعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا ظُلم غفر ..»[(٣)].

٦ـ وقال عليه السلام: «من أراد أن يدخله الله عزّ وجلّ في رحمته ويسكنه جنّته .. فليحسّن خلقه، وليعط النصفة من نفسه، وليرحم اليتيم، وليعن الضعيف، وليتواضع لله الذي خلقه»[(٤)].

وقد أبان هذا الحديث وبيّن وظيفة العبد بالنسبة لنفسه وربّه وأبناء جنسه بشكل جامع لكلّ مراتب الكمال الإنساني .

وخُلْقُ كلّ إنسان ما هو الّا صورة روحه ومظهر باطنه ، وحشر الإنسان يكون بصور صفاته النفسيّة ، وحسن الخلق إنّما يكون بتزيّن الشهوة بالعفة ، والغضب بالشجاعة ،

---

(١) كذا، ولعلها: تعملها.

(٢) بحار الأنوار ٧٨/٢٠٥ حديث ٤٤.

(٣) بحار الأنوار ٧٨/٢٠٦ـ٢٠٧ حديث ٦٣.

(٤) الأمالي للشيخ الصدوق رحمه الله: ٤٧٣ حديث ٦٣٦ [الطبعة المترجمة: المجلس الحادي والستون: ٤٣٢ حديث ٩٦٧]، وعنه في بحار الأنوار ٧٤/٦٦ حديث ٣٣، ومثله في أمالي الشيخ الطوسي رحمه الله: ٤٣٢ حديث ٩٦٨.

والفكر بالعلم والحكمة . .

والإنصاف هو بلوغ الإنسان إلى مقام يغلب على هواه ، ويسيطر على أهواءه بحيث لا يزيغ عن جادة الحقّ والعدل وإن كان في ذلك ضرر على ماله ومناله وجاهه ومقامه . . وأن يستسيغ الحقّ قولاً وعملاً وإن كان مُرّاً ومضرّاً بحاله .

وما يلزمه لربّه الذي خلقه وسوّاه ، ومن العدم بالوجود حلاه . . فجعله سميعاً بصيراً ، وتَوَّجَه بالعقل المدرك للماديات والمجرّدات أن تخضع لسلطان ربّه ، وامتثل أوامره ، وانتهىٰ بنواهيه ، وتواضع لربّه ، واستسلم لإرادته . .

ووظيفة الإنسان لأبناء جلدته أن يستعين بما أعطاه ربّه من حول وقوّة لجبر ضعف الضعفاء لمحو عنصر الضعف من المجتمع ؛ فإن كان الضعف هو الجهل محاه بالعلم ، وإن كان فقراً رفعه بالمال والغناء ، ويعين الضعفاء ويساعد المحتاجين فيما يحتاجونه من حوائجهم الماديّة والمعنويّة ، فيسعى لليتيم المحروم روحياً وبدنياً فيسبغ عليه الحنان الأبوي المادي والمعنوي في المجتمع لتهيّئة حوائجه الماديّة ، وسدّ فراغه الروحي وملأ خلأ الحنان الأبوي . . فكان جزاء مثل هذا الإنسان ليس إلّا رحمة الله سبحانه

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[١] وبعدها الجنة ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[٢].

٧ ـ عن عنوان البصري[٣] ـ وكان شيخاً كبيراً قد أتىٰ عليه أربع وتسعون سنة ـ قال : كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين ، فلمّا قدم جعفر الصادق عليه السلام المدينة اختلفت إليه ، وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك ، فقال لي يوماً : **« إنّي رجل مطلوب ، ومع ذلك لي أوراد في كلّ ساعة من آناء الليل والنهار ، فلا تشغلني عن وردي ، وخذ عن مالك . . واختلف إليه كما كنت تختلف إليه ! . . »** .

فاغتممت من ذلك ، وخرجت من عنده ، وقلت في نفسي : لو تفرّس فيّ خيراً لما زجرني عن الاختلاف إليه والأخذ عنه ، فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلّمت عليه .

ثمّ رجعت من الغد إلى الروضة وصلّيت فيها ركعتين ، وقلت : أسألك يا الله يا الله أن تعطف عليّ قلب جعفر وترزقني من علمه ما أهتدي به إلى صراطك المستقيم . .

---

(١) سورة الزخرف (٤٣): ٣٢.

(٢) سورة الفجر (٨٩): ٢٩ ـ ٣٠.

(٣) كما في بحار الأنوار ١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٦ حديث ١٧، وهو فيما وجده رحمه الله بخط الشيخ البهائي طاب ثراه مسنداً.

ورجعت إلىٰ داري مغتمّاً، ولم اختلف إلىٰ مالك بن أنس؛ لما أُشرب قلبي من حبّ جعفر، فما خرجت من داري إلّا إلى الصلاة المكتوبة حتّىٰ عيل صبري، فلمّا ضاق صدري تنعّلت وتردّيت وقصدت جعفراً ـ وكان بعد ما صلّيت العصر ـ فلمّا حضرت باب داره، استأذنت عليه، فخرج خادم له فقال: ما حاجتك؟ فقلت: السلام على الشريف، فقال: هو قائم في مصلّاه.. فجلست بحذاء بابه، فما لبثت إلّا يسيراً إذ خرج خادم، فقال: ادخل علىٰ بركة الله..

فدخلت وسلّمت عليه، فردّ السلام، فقال: «**اجلس غفر الله لك**».

فجلست، فأطرق مليّاً، ثمّ رفع رأسه، وقال: «**أبو من؟**».

قلت: أبو عبد الله..

قال: «**ثبّت الله كنيتك ووفّقك، يا أبا عبد الله! ما مسألتك؟**»

فقلت في نفسي: لو لم يكن لي من زيارته والتسليم غير هذا الدعاء لكان كثيراً.. ثمّ رفع رأسه..

ثمّ قال: «**ما مسألتك؟**»

فقلت: سألت الله أن يعطف قلبك عليّ ويرزقني من علمك، وأرجو أنّ الله تعالىٰ أجابني في الشريف ما سألته..

فقال : « يا أبا عبد الله ! ليس العلم بالتعلّم ، إنّما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالىٰ أن يهديه .

فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبوديّة ، واطلب العلم باستعماله ، واستفهم الله يُفهّمك » .

قلت : يا شريف !

فقال : « قل يا أبا عبد الله ! » .

قلت : يا أبا عبد الله ! ما حقيقة العبوديّة ؟

قال : « ثلاثة أشياء : أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوّله الله ملكاً ؛ لأنّ العبيد لا يكون لهم ملك ؛ يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به ، ولا يدبّر العبد لنفسه تدبيراً ، وجملة اشتغاله فيما أمره تعالىٰ به ونهاه عنه . . فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوّله الله تعالىٰ ملكاً ؛ هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالىٰ أن ينفق فيه . .

وإذا فوّض العبد تدبير نفسه على مدبّره ؛ هان عليه مصائب الدنيا . .

وإذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالىٰ ونهاه ؛ لا يتفرّغ منهما إلى المراء والمباهاة مع الناس . .

فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا ، وإبليس ، والخلق ، ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً ،

ولا يطلب ما عند الناس عزّاً وعلوّاً، ولا يدع أيّامه باطلاً، فهذا أوّل درجة التقىٰ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي ٱلْأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

قلت: يا أبا عبد الله! أوصني.

قال: «**أوصيك بتسعة أشياء، فإنّها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى، والله أسأل أن يوفّقك لاستعماله؛ ثلاثة منها في رياضة النفس، وثلاثة منها في الحلم، وثلاثة منها في العلم، فاحفظها وإيّاك والتهاون بها**».

قال عنوان: ففرّغت قلبي له..

فقال: «**أمّا اللواتي في الرياضة؛ فإيّاك أن تأكل ما لا تشتهيه؛ فإنّه يورث الحماقة والبله، ولا تأكل إلّا عند الجوع، وإذا أكلت فكل حلالاً، وسمّ الله، واذكر حديث الرسول ﷺ: ما ملأ آدميّ وعاءً شراً من بطنه؛ فإن كان ولابدّ؛ فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه.**

وأمّا اللّواتي في الحلم؛ فمن قال لك: إن قلت واحدة سمعت عشراً، فقل إن قلت عشراً لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل له: إن كنت صادقاً فيما تقول فأسأل الله أن

---

(١) سورة القصص (٨٣): ٢٨.

يغفر لي ، وإن كنت كاذباً فيما تقول فالله أسأل أن يغفر لك ، ومن وعدك بالخنى[١] فعده بالنصيحة والرعاء . .

وأمّا اللواتي في العلم ؛ فاسأل العلماء ما جهلت ، وإيّاك أن تسألهم تعنّتاً وتجربة ، وإيّاك أن تعمل برأيك شيئاً ، وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً ، واهرب من الفتيا هربك من الأسد ، ولا تجعل رقبتك للناس جسراً . .

قم عنّي ـ يا أبا عبد الله ! ـ فقد نصحت لك ، ولا تفسد عليّ وردي ، فإنّي امرء ضنين بنفسي ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾[٢] » .

فما أوردناه في هذه الوجيزة ما هو إلّا لمعة من أشعّة إشعاع شمس الإمامة التي استوعبت العالم . .

وأيم الحقّ أنّ القلم لعاجز عن تحرير مآثره عليه السلام ، والبيان ألكن عن تقرير آثاره . . سلام الله عليه وعلىٰ آله . .

ولنختم الكلام برواية عن ذلك الإمام عليه السلام حيث قال :

« إنّ عندي سيف رسول الله [صلى الله عليه وآله] ، وإنّ عندي لراية

---

(١) الخنى : من قبيح الكلام والفحشاء ، أو من الكلام أفحشه ، كما في تاج العروس ١٠/١٢١ . . وغيره .

(٢) سورة طه (٢٠) : ٤٧ .

رسول الله [صلى الله عليه وآله] المغلبة، وإنّ عندي لخاتم سليمان ابن داود[١]، وإنّ عندي الطست[٢] الذي كان موسى يقرّب بها القربان، وإنّ عندي الاسم الذي كان رسول الله [صلى الله عليه وآله] إذا وضعه بين المسلمين والمشركين لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشّابة، وإنّ عندي لمثل الذي جاءت به الملائكة، ومثل السلاح فينا كمثل التابوت في بني اسرائيل».

يعني أنّه كان دلالة على الإمامة.

وفي رواية الأعمش، قال عليه السلام: «**ألواح موسىٰ عندنا، وعصا موسى عندنا، ونحن ورثة النبيّين..**».

وقال عليه السلام: «**علمنا غابر ومزبور، ونكت في القلوب، ونقر في الأسماع، وإنّ عندنا الجفر الأحمر، والجفر الأبيض، ومصحف فاطمة [عليها السلام]، وإنّ عندنا الجامعة، فيها جميع ما يحتاج الناس إليه..**».

ويروىٰ له عليه السلام:

في الأصل كنّا نجوماً يستضاء بنا
وللبريّة نحن اليوم برهان

---

(١) لم يرد في المناقب قوله: «وإنّ عندي لخاتم سليمان بن داود..».

(٢) في المناقب: «الطشت..».

نحن البحور التي فيها لغائصكم
درّ ثمين وياقوت ومرجان
مساكن القدس والفردوس نملكها
ونحن للقدس والفردوس خزّان
من شذّ عنّا فبرهوت مساكنه
ومن أتانا فجنّات وولدان[1]

* * *

(١) بحار الأنوار ٢٥/٤٧ ـ ٢٦ ذيل حديث ٢٦، نقلاً عن المناقب لابن شهر آشوب ٣٩٧/٣ [الطبعة الأولىٰ، وفي طبعة قم ٢٧٦/٤ ـ ٢٧٧ باختلاف يسير بينهما].

فهرس مصادر هذا السفر

الاحتجاج؛ للشيخ أحمد بن علي الطبرسي ﷺ، المتوفى سنة ٥٦٠ هـ، في مجلدين، الناشر: دار النعمان ـ النجف الأشرف.

الاختصاص؛ للشيخ المفيد ﷺ، المتوفىٰ سنة ٤١٣ هـ، نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلميّة ـ قم.

الأمالي؛ للشيخ الصدوق ﷺ، المتوفىٰ سنة ٣١٨ هـ، الطبعة الأولىٰ سنة ١٤١٧ هـ، نشر مؤسّسة البعثة ـ قم.

الأمالي؛ للشيخ المفيد ﷺ، المتوفّىٰ سنة ٤١٣ هـ، نشر جماعة المدرسين ـ قم.

الأمالي؛ للشيخ الطوسي ﷺ المتوفىٰ سنة ٤٦٠ هـ، الطبعة الأولىٰ ١٤١٤ هـ، نشر دار الثقافة ـ قم.

بحار الأنوار؛ للمولى محمّد باقر المجلسي، المتوفّىٰ سنة ١١١١ هـ، طبعة سنة ١٤٠٣ هـ، الناشر مؤسّسة الوفاء ـ بيروت، وطبعة المكتبة الإسلامية ـ طهران.

بصائر الدرجات الكبرىٰ؛ لمحمّد بن الحسن بن فروخ

الصفّار، المتوفّىٰ سنة ٢٩٠ هـ، طبعة سنة ١٣٦٢ ش، ١٤٠٤ هـ، نشر مؤسّسة الأعلمي ـ طهران.

تاريخ مدينة دمشق؛ لعلي بن الحسن الشافعي (ابن عساكر) المتوفّىٰ سنة ٥٧١هـ، المطبوع سنة ١٤١٥ هـ، الناشر دار الفكر ـ بيروت.

تحف العقول عن آل الرسول؛ لابن شعبة الحرّاني، من أعلام القرن الرابع، الطبعة الثانية في سنة ١٤٠٤ هـ، نشر جامعة المدرسين ـ قم، وطبعة الأعلمي ـ بيروت.

تأويل مختلف الحديث؛ لعبدالله بن مسلم بن قتيبة، المتوفّىٰ سنة ٣٧٦هـ، الناشر دار الكتب العلميّة ـ بيروت.

تفسير القمي؛ لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي، المتوفّىٰ سنة ٣٢٩ هـ، الطبعة الثالثة في سنة ١٤٠٤ هـ، الناشر دار الكتاب ـ قم.

التلخيص (في هامش المستدرك للحاكم)؛ للحافظ الذهبي، المتوفّىٰ سنة ٧٤٨ هـ، الناشر دار الكتب العربي ـ بيروت.

التوحيد؛ للشيخ الصدوق ﷺ المتوفّىٰ سنة ٣٨١ هـ، طبعة سنة ١٣٨٧ ش، نشر جماعة المدرسين ـ قم.

تهذيب الكمال؛ لأبي الحجّاج يوسف المزّي، المتوفّىٰ سنة ٧٤٢هـ، الطبعة الأولىٰ سنة ١٤١٣ هـ، الناشر مؤسّسة الرسالة.

ثواب الأعمال؛ للشيخ الصدوق ﷺ، المتوفّىٰ سنة ٣٨١ هـ،

الطبعة الثانية سنة ١٣٦٨ ش، الناشر منشورات الرضي ـ قم.

حياة الحيوان الكبرىٰ؛ لكمال الدين محمد بن موسى الدميري، المتوفّىٰ سنة ٨٠٨هـ، الناشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي بمصر، وكذا طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت، تحقيق أحمد حسن بسج، وهي المعتمدة.

الخرائج والجرائح؛ لقطب الدين الراوندي ﷺ، المتوفّىٰ سنة ٥٧٣هـ، الناشر مؤسّسة الإمام المهدي ﷺ ـ قم.

الخصال؛ للشيخ الصدوق ﷺ، المتوفّىٰ سنة ٣٨١هـ، الناشر جماعة المدرسين ـ قم.

الدعوات؛ لقطب الدين الراوندي ﷺ، المتوفّىٰ سنة ٥٧٣هـ، الطبعة الأولىٰ سنة ١٤٠٧ هـ، الناشر مدرسة الإمام المهدي ﷺ ـ قم.

روضة الواعظين؛ لمحمد بن الفتال النيسابوري، المتوفّىٰ سنة ٥٠٨هـ، الناشر منشورات الرضي ـ قم.

صحيح البخاري؛ لمحمّد بن اسماعيل البخاري، المتوفّىٰ سنة ٢٥٦هـ، المطبوع سنة ١٤٠١هـ، الناشر دار الفكر ـ بيروت.

صحيح مسلم؛ لمسلم بن الحجّاج النيسابوري، المتوفّىٰ ٢٦١ هـ، دارالفكر ـ بيروت.

الصواعق المحرقة؛ لأحمد بن الحجر الهيثمي، المتوفّىٰ سنة ٩٧٤هـ، الناشر مكتبة القاهرة بمصر.

علل الشرائع؛ للشيخ الصدوق ﵀، المتوفّىٰ سنة ٣٨١ هـ، الطبعة الثانية، الناشر دار إحياء التراث العربي - بيروت.

عوالي اللئالي العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة؛ لابن أبي جمهور الاحسائي، المتوفّىٰ سنة ٩٨٠ هـ، الطبعة الأولىٰ سنة ١٤٠٣ هـ، الناشر مطبعة سيّد الشهداء ﵇ - قم.

قرب الإسناد؛ لأبي العبّاس عبد الله الحميري البغدادي، المتوفّىٰ سنة ٣٠٠ هـ، الناشر مؤسّسة آل البيت ﵈ لاحياء التراث - قم، الطبعة المحقّقة.

الكافي؛ لثقة الاسلام محمّد بن يعقوب الكليني، المتوفّىٰ سنة ٣٢٩ هـ، الطبعة الخامس، الناشر دار الكتب الاسلاميّة - طهران.

كشف الغمّة في معرفة الأئمّة؛ لعلي بن عيسى الإربلي، المتوفىٰ سنة ٦٩٣ هـ، الناشر مكتبة بني هاشمى - تبريز، والطبعة المترجمة نشر كتابچي - تبريز سنة ١٣٨١ هـ.

كمال الدين وتمام النعمة؛ للشيخ الصدوق ﵀، المتوفّىٰ سنة ٣٨١ هـ، المطبوع سنة ١٤٠٥ هـ، نشر جماعة المدرسين - قم.

مجمع البيان في تفسير القرآن؛ لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المتوفىٰ سنة ٥٦٠ هـ، الطبعة الأولىٰ سنة ١٤١٥ هـ، الناشر مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

المستدرك على الصحيحين؛ لأبي عبد الله الحاكم

النيسابوري، المتوفىٰ سنة ٤٠٥ هـ، المطبوع سنة ١٤٠٦ هـ، الناشر دار المعرفة ـ بيروت.

مسند أحمد؛ لأحمد بن حنبل، المتوفّىٰ سنة ٢٤١ هـ، الناشر دار الصادر ـ بيروت.

مشكاة الأنوار في غرر الأخبار؛ لأبي الفضل علي الطبرسي من أعلام القرن السابع، الطبعة الثانية، الناشر المكتبة الحيدريّة في النجف الأشرف.

مصباح الشريعة؛ منسوب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام، المتوفّىٰ سنة ١٤٨ هـ، الطبعة الأُولى لمؤسّسة الأعلمي، بيروت.

مطالب السؤول في مناقب آل الرسول؛ لمحمد بن طلحة الشافعي، المتوفّىٰ سنة ٦٥٢ هـ، طبعة طهران، وطبعة أُخرى محققة في مؤسسة أُمّ القرى للتحقيق والنشر ـ بيروت، مجلد في جزئين، وهي المعتمدة.

معجم رجال الحديث؛ للسيّد أبي القاسم الخوئي، المتوفّىٰ سنة ١٤١٣ هـ.

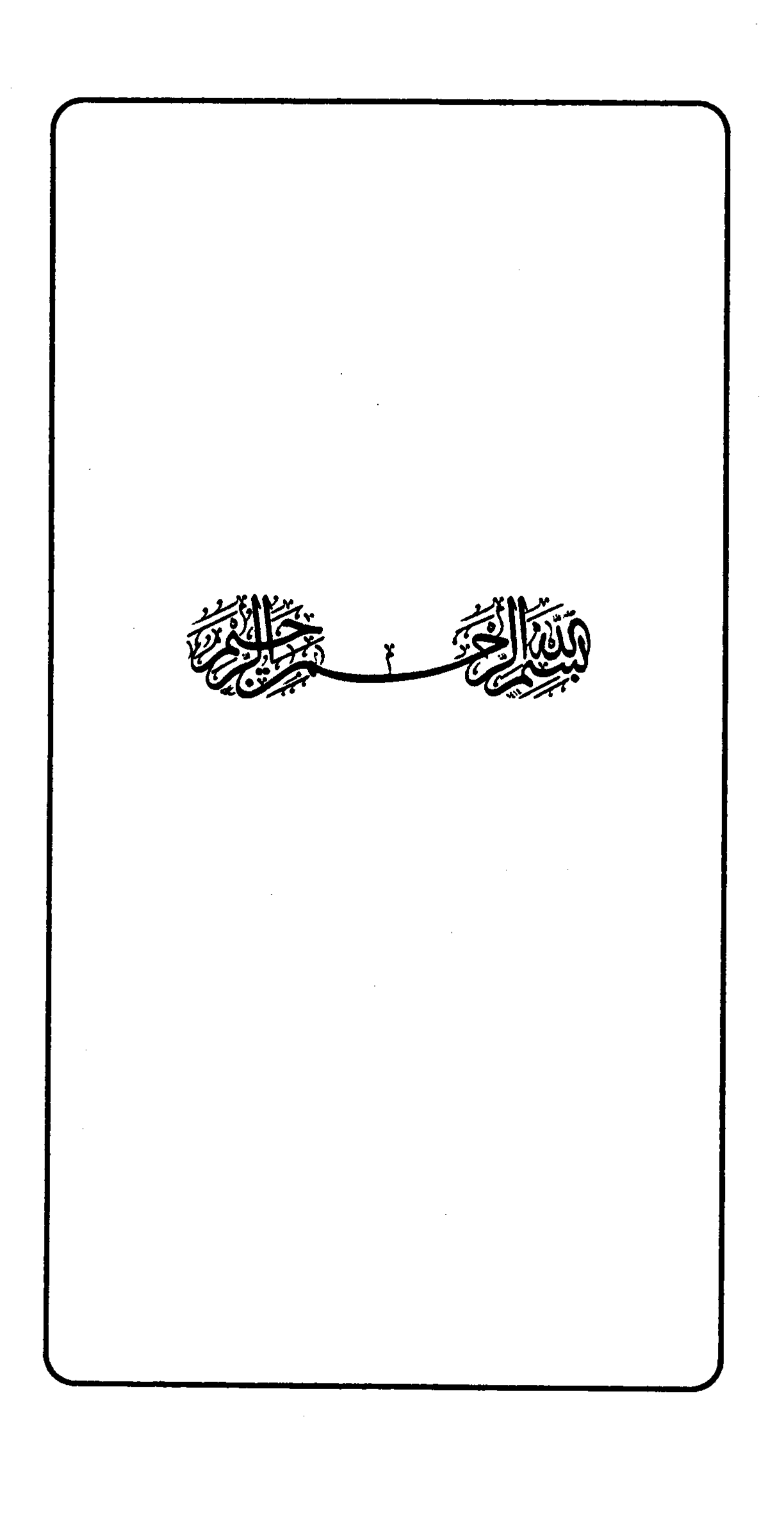
مقدمة في أُصول الدين؛ للشيخ الحسين الوحيد الخراساني، الناشر: مدرسة الإمام باقر العلوم عليه السلام ـ قم.

المناقب؛ للموفّق بن أحمد المكّي الخوارزمي، المتوفّىٰ سنة ٥٦٨ هـ، الطبعة الثانية سنة ١٤١١ هـ، نشر جماعة المدرسين ـ قم.

مناقب آل أبي طالب؛ لابن شهر آشوب، المتوفى سنة ٥٨٨ هـ الناشر: مؤسسّة انتشارات علامة ـ قم.

نور الأبصار؛ لمؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي، كان حيّاً سنة ١٣٢٢ هـ، دار الفكر بيروت.

المحتوىٰ


بسم الله الرحمن الرحيم